

إشارات القرآن الكريم إلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام

جمعاً ودراسةً

إعداد:

د. إبراهيم بن عبدالله المعثم

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم

إشارات القرآن الكريم إلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام جمعاً ودراسةً

إبراهيم بن عبدالله المعثم
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة -كلية الشريعة والدراسات الإســـلامية – جامعة القصيم
البريد الإلكتروني: matham@qu.edu.sa

الملخص

هذا البحث خُصص لجمع إشارات القرآن الكريم إلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة، حيث إنّ الأدلة من كتاب الله تعالى على نزول عيسى بن مريم عليه السلام لم تكن واضحةً ومفصلةً كأدلة السنة النبوية، وقد تبين لي أن ثلاثَ آياتٍ من القرآن الكريم فسرها السلف بنزول عيسى بن مريم عليه السلام، وثلاث آيات علّق السلف حصولها بنزوله عليه السلام، اثنتان منها تتحققان بنزوله عليه السلام، والثالثة لا دليل يربطها بنزوله عليه السلام، كما تبين لي أن عودَ الضمائر ومحلَ العطف كانا من أبرز أسباب الخلاف في دلالة بعض الآيات على نزوله عليه السلام، كما كان لسياق الآيات وأدلة السنة النبوية وأساليب العربية أثرٌ كبير في ترجيح القول بدلالة بعض الآيات على نزوله عليه السلام.

والغريب أنه على الرغم من مكانة نزول عيسى بن مريم في عقيدة المسلمين ووضوحه وتواتر أدلته إلا إن هناك من أنكره وشكك به وقدح في دلالات أدلته.

الكلمات المفتاحية: أدلة القرآن، نزول عيسى عليه السلام، علامات يوم القيامة.

Study and Collection of the Sings of the Second Coming of Jesus in Quran

Ebrahim Abdullah Almatham

Department of Contemporary Belief and Doctrines - College of Sharia and Islamic Studies - Qassim University

Email: matham@qu.edu.sa

Abstract

In this research I collected the signs of the Second Coming of Jesus before the Day of the Lord. The signs in Quran are not as clear and detailed as the signs in Sunnah. I found that 3 verses in Quran were interpreted as evidence of the Second Coming, while other 3 signs were not. Two of them will come true by the occurrence of the Second Coming, while one of them has no relation with the Second Coming. I also found that pronoun references and conjunctions were of the most important reasons of the various sign readings. Context of Quran verses and Hadith of Sunnah had a huge impact on interpreting some signs as evidence of the Second Coming, as well as Arabic language style.

Keywords: Quran Verses - The Second Coming − The Day Of The Lord Signs.

مقدمة

إنَّ الحمد للَّه، نـــحمده، ونستعينـــه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [سورة آل عمران:١٠٢]، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء:١]، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [سورة الأحزاب:٧٠-٧١]، أما بعد:

فإن الله تعالى أمر بالإيمان وبناه على ستة أركان، ومن أركانه: الإيمان باليوم الآخر، وقد جعل الله تعالى لهذا اليوم أشراطاً تسبقه وتدل عليه، ومن تلك الأشراط الكبرى: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وقد جاءت الأدلة من السنة النبوية على نزوله عليه السلام واضحةً ومفصلةً بيد أن الأدلة من كتاب الله تعالى ليست بهذه الشاكلة من التفصيل والوضوح، ولهذا ربما خَفِي بعضها على بعض المتخصصين فضلاً عن غيرهم من غير المتخصصين والعامة، مما جعلني أختار جمع الآيات التي فسرها السلف بنزول عيسى بن مريم عليه السلام، والآيات التي علّق السلف وقوعها بنزوله عليه السلام ثم دراسة تلك الآيات، وجعلت عنوانه: **(إشارات القرآن الكريم إلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام جمعاً ودراسةً)**، واخترت لفظة (إشارات) ليشمل ذلك ما يدل صراحةً على نزول عيسى عليه السلام، وما كان أمدُ وقوعه نزولَه عليه السلام، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

١-هل دلّ القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام؟

٢-ما الآيات التي فسرها السلف بنزول عيسى عليه السلام؟

٣-ما الآيات التي علّق السلف وقوعها بنزول عيسى عليه السلام؟

أهمية البحث:

١- تعلق الموضوع بالإيمان باليوم الآخر من جهة كون نزوله عليه السلام من الأشراط الكبرى لليوم الآخر.

٢- تعلق الموضوع بالإيمان بالرسل من جهة تعلقه بعيسى عليه السلام، وبمحمد صلى الله عليه وسلم.

٣- خفاء بعض أدلته على بعض المتخصصين فضلاً عن غيرهم.

٤- قدح بعض المعاصرين في هذه القضية العقدية، بزعم أنه لا يوجد في القرآن نصٌ صريح على نزول عيسى عليه السلام، وأن هذه العقيدة دخلت على المسلمين من النصارى![١].

أهداف البحث:

١- بيان دلالة القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام.

٢- إيضاح الآيات التي فسرها السلف بنزول عيسى عليه السلام.

٣- ذكر الآيات التي علّق السلف وقوعها بنزول عيسى عليه السلام.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال بيان أدلة القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام، وتفصيل دلالاتها، وبيان من فسّر تلك الآيات بنزوله عليه السلام.

(١) انظر: ما سطره الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار (٧٥٥/٢٨) وفي تفسير المنار (٢١/٦)، والشيخ المراغي في تفسيره (١٦٥/٣).

إجراءات البحث:

١- جمعتُ كلَّ الآيات القرآنية التي فُسّرت بنزول عيسى عليه السلام، أو التي علّق السلف وقوعها بنزوله عليه السلام، سواء كان هذا التفسير ثابتاً وصحيحاً أو فيه نظر، وقد بينت هذا في كل آية منها.

٢- بدأتُ كل مبحث بذكر الآية التي فُسّرت بنزول عيسى عليه السلام ثم بيان وجه دلالتها على نزول عيسى عليه السلام باختصار.

٣- سردتُ بعد ذلك جميع الآثار الواردة عن السلف -إن وجدت- مهما كانت درجة صحتها، مع ترتيب تلك الآثار بحسب تاريخ وفاة أصحابها ممن يُعرف تاريخ وفاته، ومن لم يُعرف تاريخ وفاته وضعته مع معاصريه، ثم أردفتها بذكر أقوال المفسرين في معنى الآية.

٤- أوضحتُ بعد ذلك معنى الآية وبيّنت دلالتها على نزوله عليه السلام على نحو تفصيلي.

٥- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني ووضعتها بين قوسين مزهرين {}، وعزوتها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٦- خرّجت الأحاديث النبوية، ونقلت أحكام العلماء عليها إن رويت خارج الصحيحين.

٧- عزوت الآثار إلى من رواها، ونقلت أحكام العماء والباحثين عليها إن وجدت.

٨- وثقت النقول بنسبتها إلى مصادرها.

٩- التزمت بعلامات الترقيم، وضبطت ما يحتاج إلى ضبط.

١٠- ذيلت البحث بفهرسين أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وعدد من المباحث وخاتمة وفهرسين أحدهما للمصادر والمراجع والآخر للموضوعات.

المقدمة، وتشمل: مشكلة البحث وأهميته وأهدافه ومنهجه وإجراءاته وخطته.

التمهيد: ويشمل ما يلي:

أولاً: نزول عيسى عليه السلام ومنزلته من عقيدة المسلم.

ثانياً: بيان تواتر الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السّلام، وذكر ما ورد منها في الصحيحين.

الفصل الأول: الآيات التي فسرها السلف بنزول عيسى عليه السلام.

المبحث الأول: قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}.

المبحث الثاني: قوله تعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ}.

المبحث الثالث: قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا}.

الفصل الثاني: الآيات التي علّق السلف وقوعها بنزول عيسى عليه السلام.

المبحث الأول: قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ}.

المبحث الثاني: قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}.

المبحث الثالث: قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}.

الخاتمة، وتشمل أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

أولاً: نزول عيسى عليه السلام ومنزلته من عقيدة المسلم

لا شك أن من عقيدة المسلم الإيمان بأركان الإيمان الستة ومنها الركن الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر وما يتضمنه، ومما يتضمنه الإيمان بقيام الساعة وبالعلامات والأشراط التي تسبقها، ومن تلك الأشراط الإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، فالإيمان به واجب، وهو من صلب عقيدة المؤمن، لدلالة النصوص الشرعية عليه، ولهذا نجد المصنفين في العقائد يذكرون هذا نصاً في عقائدهم، ومن هؤلاء:

١-الإمام أبو حنيفة حيث قال -عند ذكره لما يجب الإيمان به-: «وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»(١).

٢-الإمام أحمد بن حنبل الذي قال: «والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد»(٢).

٣-أبو الحسن الأشعري فقد قال: «وعلى أن الإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي إلى السماوات واجب، وكذلك ما روي من خبر الدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله الدجال»(٣).

٤-ابن أبي زمنين حيث قال: «وأهل السنة يؤمنون بنزول عيسى وقتله الدجال، وقال عز وجل: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ} [سورة الزخرف:٦١] يعني عيسى، وقال: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ} [سورة النساء:١٥٩] يعني: قبل موت عيسى»(٤).

---

(١) الفقه الأكبر (٧٢).

(٢) أصول السنة من رواية عبدوس العطار (٣٣-٣٤).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر (١٦٦).

(٤) أصول السنة (١٩٢).

فهذه نصوص أربعة: اثنان منها لإمامين من أئمة المذاهب الأربعة، والآخران لعالمين من علماء المذاهب الأربعة، وكل واحد منهم ينص على وجوب الإيمان بنزول عيسى عليه السلام، بل إن بعض العلماء نقل إجماع السلف على وجوب الإيمان بنزوله عليه السلام، وممن نقله: أبو الحسن الأشعري(١)، والخطيب البغدادي(٢)، والقاضي عياض(٣)، وأبو الحسن ابن القطان(٤)، وابن رسلان(٥)، وابن الوردي(٦)، وغيرهم(٧)، وقال السفاريني: «وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها»(٨).

بل إن بعض العلماء كفّر من أنكر نزول عيسى عليه السلام، قال محمود الألوسي: «ولا يقدح في ذلك ما أجمعت الأمة عليه واشتهرت فيه الأخبار -ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي- ونطق به الكتاب على قول ووجب الإيمان به وأُكفّر منكرَهُ -كالفلاسفة- من نزول عيسى عليه السّلام آخر الزمان»(٩).

ومما يدل على أهمية هذه العقيدة إفراد العلماء قديماً وحديثاً مؤلفاتٍ

---

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر (١٦٦).
(٢) انظر: الفقيه والمتفقه (١/٢٥٦).
(٣) انظر: إكمال المعلم (٨/٤٩٢).
(٤) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع (١/٥٠).
(٥) انظر: شرح سنن أبي داود (١٦/٦٧٤).
(٦) انظر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب (٤٤٠).
(٧) انظر: فيض القدير (٢/٣٤١) للمناوي، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/٩٠، ١٢٩) للشيخ حمود التويجري.
(٨) لوامع الأنوار البهية (٢/٩٤-٩٥)، وانظر: البحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/٦١٣).
(٩) روح المعاني (١١/٢١٣).

عُنيت بجمع الأحاديث الواردة في هذه المسألة، وبيانُ بعضهم بلوغها حد التواتر، وهو ما سيكون محور الحديث إجمالاً في الفقرة التالية من التمهيد.

ثانياً: بيان تواتر الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السّلام وذكر ما ورد منها في الصحيحين.

شكك بعض المعاصرين في نزول عيسى عليه السّلام في آخر الزمان، زاعمين أن الأحاديث الواردة رواياتها مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وأن ما رُويَ في الموضوع من حديث أبى هريرة -إن صح- فهو حديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات، وأن مُنْكرَ هذا ليس مُنْكراً لما ثبت بدليل قطعي، وهذه الأحاديث رويت بالمعنى -كأكثر الأحاديث- والناقل بالمعنى يَنقُل ما فَهِمَهُ[1].

وليس هذا مجال التفصيل في الرد على هذه الدعوى، بل أردت في هذه الفقرة بيان أمرين:

الأول: بيان تواتر الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام.

إذ نصّ جمع من العلماء والباحثين على تواتر الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام، ومن هؤلاء:

١-الإمام محمد بن جرير الطبري حيث قال: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قولُ مَنْ قال: معنى ذلك؛ إني قابضك من الأرض ورافعك إلي،

---

(١) انظر ما صرّح به محمد عبده كما نقله عنه تلميذه محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٣/٣١٧)، وانظر كلام محمد رشيد رضا في الموضع نفسه وفي (٦/٢١) من تفسيره، وفي مجلة المنار (٢٨/٧٥٥)، وما قاله الشيخ المراغي في تفسيره (٣/١٦٥)، وكذا ما قاله محمود شلتوت في عدد من المقالات التي سطرها في مجلة الرسالة: منها مقال عنوانه: رفع عيسى منشور في العدد ٤٦٢ يوم الإثنين ٢٥ ربيع الثاني ١٣٦١هـ السنة العاشرة (٥١٥-٥١٧)، ومقال عنوانه: نزول عيسى منشور في العدد ٥١٤ يوم الإثنين ٦ جماد الأولى ١٣٦٢هـ السنة الحادية عشرة (٣٦٣-٣٦٦)، ومقال عنوانه: الإجماع وثبوت العقيدة منشور في العدد ٥١٩ يوم الإثنين ١١ جماد الآخرة ١٣٦٢هـ السنة الحادية عشرة (٣٦٣-٣٦٦).

لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدةً ذكَرَها -اختلفت الرواية في مبلغها- ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه»[١].

٢-أبو الحسن الأشعري الذي قال -ضمن الإجماع الثاني والأربعين-: «كذلك ما روي من خبر الدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله الدجال وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت الرواية بين يدي الساعة من طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفونا صحته»[٢].

٣-الإمام أبو الحسن الآبري الذي قال: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم -يعني في المهدي- وأنه من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يملك سبع سنين، ويملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى بن مريم، ويساعده في قتل الدجال بباب لُدّ بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى -صلى الله عليه- يصلي خلفه في طول من قصته وأمره»[٣].

٤-أبو الوليد بن رشد الجد حيث قال: «وأما أشراطها التي تكون بين يديها فعشرة، منها خمسة وقع العلم بها لتواتر الآثار بها، وهي: يأجوج ومأجوج، والدابة، والدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وطلوع الشمس من مغربها»[٤]، وقال أيضاً: «قد أعلم الله عز وجل في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن عيسى بن مريم ما قتل ولا صلب وأن الله رفعه إليه، وأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم- إخباراً متواتراً وقع العلم به أنه سيهبط في آخر الزمان حكماً عدلاً

---

(١) تفسير الطبري (٥/٤٥١).
(٢) رسالة إلى أهل الثغر (١٦٦).
(٣) مناقب الإمام الشافعي للآبري (٩٥)، وانظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٥/١٤٩).
(٤) البيان والتحصيل (١٧/٦٠١).

مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال، فوجب التصديق على كل مسلم بذلك كما فعل أبو هريرة»[1].

وقد تتابع العلماء بعد هؤلاء الأئمة في بيان تواتر الأحاديث الواردة في نزوله عليه السلام[2]، بل إن بعضهم ألف خصوصاً في إثبات هذا التواتر كالشوكاني في كتابه: التوضيح في تواتر ما جاء في الأحاديث في المهدي والدجال والمسيح، ومحمد أنور شاه الكشميري الهندي في كتابه: التصريح بما تواتر في نزول المسيح.

الثاني: بيان الأحاديث المروية في الصحيحين الواردة في نزول عيسى عليه السلام.

فقد تلقت الأمة أحاديث صحيحي البخاري ومسلم بالقبول، ومن هنا أردت بيان ما روي في الصحيحين أو في أحدهما من الأحاديث التي تدل على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وقد وقفت على ثمانية أحاديث؛ وهي:

١- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيضُ المال

---

(١) البيان والتحصيل (٢٥٥/١٨)، وانظر: البيان والتحصيل (١٨/ ٤٤٨-٤٤٩)،

(٢) وممن نقل هذا: أبو الحسن ابن القطان الفاسي في الإقناع في مسائل الإجماع (٥٠/١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٦٤/٢)، والشوكاني في فتح القدير (٥٣٦/١)، والعظيم آبادي في عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٤١٧/٩)، والألوسي في روح المعاني (٢١٣/١١)، والكتاني في نظم المتناثر (٢٢٩)، والكشميري الهندي في إكفار الملحدين في ضروريات الدين (١١)، والشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسند الإمام أحمد (٩٨/٧-٩٩) (٩٠/٨) وفي تحقيقه لتفسير الطبري (٤٦٠/٦)، والشنقيطي في أضواء البيان (١٢٨/٧، ١٣٠)، والشيخ حمود التويجري في كتابيه: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٨٥/٣، ٩٧، ١٢٨)، وفي إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان (٨)، والشيخ عبدالعزيز بن باز في مجموع فتاوى ابن باز (١٠١/٤)، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني في الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (٥٢)، وغيرهم.

حتى لا يقبله أحد))[١]، وفي رواية للبخاري: ((لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم))[٢]، زاد البخاري في رواية أخرى: ((حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا}))[٣]، وفي رواية لمسلم: ((والله، لينزلنَّ ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليضعنَّ الجزية، ولتتركنَّ القلاصُ فلا يسعى عليها، ولتذهبنَّ الشحناءُ والتباغض والتحاسد، ولَيُدْعَوَنَّ إلى المال فلا يَقْبَلُه أحد))[٤] .

٢- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم؟))[٥]، وفي رواية لمسلم: ((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمَّكم؟))[٦]، وفي رواية أخرى لمسلم: ((كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكم منكم؟)) قال الوليد بن مسلم: فقلت لابن أبي ذئب إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: ((وإمامكم منكم)) قال ابن أبي ذئب:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، ح(٢١٠٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ح(١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير ح(٢٣٤٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام ح(٣٢٦٤).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ح(١٥٥).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، ح(٣٢٦٥)، ومسلم كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ح(١٥٥).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ح(١٥٥).

تدري ما ((أمَّكم منكم))؟ قلت: تخبرني؟ قال: «فأمَّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم»[١].

٣- حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة))، قال: ((فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة))[٢].

٤- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما))[٣].

٥- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوْا منا نُقَاتِلْهُمْ، فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشأم خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يُسَوّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ح(١٥٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ح(١٥٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب إهلال النبي صلى الله عليه وسلم وهديه، ح(١٢٥٢).

مريم صلى الله عليه وسلم، فأمهم، فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيُريهم دمَهُ في حربته))[1].

٦- حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: ((ما تذاكرون؟)) قالوا: نذكر الساعة، قال: ((إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات -فذكر-: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخِرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم))[2].

٧- حديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه الطويل، قال: ((ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا)) ومما جاء في الحديث: ((فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدَّرَ منه جُمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُهُ، فيطلبه حتى يدركَهُ بباب لُدّ، فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، ح(٢٨٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله))(١).

٨- حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه، وجاءه رجل، فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله أو لا إله إلا الله -أو كلمة نحوهما- لقد هممت أن لا أحدّث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يحرق البيت، ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين -لا أدري: أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً- فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه))(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور، ح(٢٩٤٠).

الفصل الأول:

الآيات التي فسرها السلف بنزول عيسى عليه السلام

المبحث الأول: قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}

من أصرح أدلة القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام قوله تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾} [سورة الزخرف:٥٧-٦١]، «فبنزوله عليه السلام يُعلَم قيامُ الساعة، ويُستدل به على ذهاب الدّنيا وإقبال الآخرة»[(١)]، ويشهد لهذا سبب نزول الآيات وقد أخرجه الإمام أحمد بسنده عن أبي يحيى مولى ابن عُقَيل الأنصاري قال: قال ابن عباس: «لقد علَمت آيةً من القرآن ما سألني عنها رجلٌ قطُّ، فما أدري: أعلمها الناس فلم يسألوا عنها؟ أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها؟، ثم طَفِق يحدثنا، فلما قام تلاومنا ألا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غداً، فلما راح الغد، قلت: يا ابن عباس، ذكرتَ أمسِ أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجلٌ قطُّ، فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها؟ أم لم يفطنوا لها؟ فقلت: أخبرني عنها، وعن اللاتي قرأت قبلها، قال: نعم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش: ((يا معشر قريش، إنه ليس أحدٌ يُعبد من دون الله فيه خيرٌ، وقد علمَتْ قريشٌ أن النصارى تعبد عيسى بن مريم، وما تقولُ في محمد، فقالوا: يا محمدُ، ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً، فلئن كنتَ صادقاً فإن آلهتهم لكما تقولون، قال: فأنزل الله عز وجل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ

(١) الكشف والبيان (٣٤١/٨) للثعلبي.

مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ } قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجُّون، {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ }؟، قال: هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»[(١)].

ويمكن الكلام على ما يتعلق بالآية ودلالتها من خلال ما يلي:

أولاً: المرويات الواردة عن السلف في تفسير الآية بنزوله عليه السلام

ورد تفسير هذه الآية بنزول عيسى بن مريم عليه السلام عن عدد من السلف، منهم:

١-**ابن عباس رضي الله عنهما:** فقد تضمن سبب النزول السابق تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للآية بنزوله عليه السلام، ذلك أن الضمير في قوله {وَإِنَّهُۥ} عائد على عيسى عليه السلام.

ومما ورد مروياً عن ابن عباس رضي الله عنهما –غير سبب النزول– ما أخرجه عبدالرزاق بن همام الصنعاني بسنده من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن كان ما يقول أبو هريرة حقاً فهو عيسى لقول الله: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ }» [(٢)]، ولعله يشير رضي الله عنه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند ابن عباس رضي الله عنهما ح(٢٩٢١)، وابن حبان في صحيحه ح(٦٨١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٨٤/١٠)، والطبراني في الكبير (١٥٣/١٢) ح(١٢٧٤٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٢٣١/٧) «رواه أحمد والطبراني بنحوه إلا أنه قال: ((فإن كنت صادقاً فإنه لكآلهتهم)) وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيئ الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وصحح إسناد الإمام أحمد السيوطي في لباب النقول (١٧٣)، وأحمد شاكر في تخريجه لمسند الإمام أحمد (٢٨٣/٣)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٣/٧): «هذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال مسلم؛ غير أن عاصماً– وهو ابن بهدلة– فيه كلام يسير، لا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن كما تقدم مراراً، ولذلك لم يخرج له الشيخان إلا مقروناً» وحسنه الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (١٨١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٩٩/٣) وسعيد بن منصور في سننه (٣٠٠/٧)، وأبي عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٠٧٦/٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨٦/٤٧، ٤٨٧)، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة (٦٣٤/٧)، ود.سعد الحميد في تحقيقه لسنن سعيد بن منصور.

إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق الذكر الذي أخرجه مسلم وفيه إهلال عيسى عليه السلام بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً.

وروى الطبري عدداً من الطرق والروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية: «نزول عيسى بن مريم» وفي رواية: «خروج عيسى بن مريم»، والرواة الذي نقلوه عن ابن عباس رضي الله عنهما هم: أبو يحيى مصدع بن يحيى الأعرج، وأبو رزين مسعود بن مالك الأسدي، وجابر بن زيد، وعطية العوفي[١]، وعكرمة[٢]، ومجاهد[٣].

٢-**والضحاك بن مزاحم** فقد أخرج الطبري بسنده عن الضحاك في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «يعني خروج عيسى بن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة»[٤].

٣-**وعكرمة مولى ابن عباس،** فقد أخرج الثعلبي بسنده عن عكرمة في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «ذلك عيسى عليه السلام»[٥].

٤-**وأبو نضرة المنذر بن مالك بن قُطَعَة،** فقد أخرج الثعلبي بسنده عن أبي نضرة في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «هو عيسى»[٦].

٥-**والحسن البصري،** فقد أخرج الطبري بسنده عن الحسن في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «نزول عيسى بن مريم»[٧].

٦-**ومجاهد بن جبر المكي،** فقد أخرج الطبري بسنده عن مجاهد في قوله

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٠/٦٣١-٦٣٢) للطبري، ومعاني القرآن (٦/٣٨٠) للنحاس، وصحيح ابن حبان (١٥/٢٢٨) لابن حبان، والبعث والنشور (١٧٥) للبيهقي.

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٦/٣٨٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٣٩).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/٦٣٣).

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/٣٤١).

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/٣٤١).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/٦٣٢).

تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة»(1).

٧-**وغزوان الغفاري،** فقد أخرج سعيد بن منصور بسنده عن أبي مالك غزوان الغفاري في قوله تبارك وتعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «نزول عيسى بن مريم عليه السلام»(2).

٨-**وقتادة** فقد أخرج عبدالرزاق بن همام الصنعاني بسنده عن قتادة في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «نزول عيسى بن مريم علم للساعة، وناس يقولون: القرآن علم للساعة»(3) زاد الطبري: «القيامة»(4)، وأخرج ابن أبي زمنين بسنده عن يحيى بن سَلاَّم في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: حدثني سعيد عن قتادة قال: «يعني نزول عيسى فلا تمترن بها بالساعة ولا تشكن فيها»(5).

٩-**وممن روي عنه هذا التفسير: السدي** فقد أخرج الطبري بسنده عن السدي في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة»(6).

١٠-**وكذا روي هذا التفسير عن عطاء بن أبي مسلم الخرساني** فقد أخرج أبو جعفر محمد بن أحمد الرملي الترمذي بسنده عن عطاء الخرساني في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ} قال: «يقال: إذا جاء عيسى فهو

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٣٣/٢٠).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٠٠/٧)، وقال محقق الكتاب د.سعد الحميد: «سنده صحيح إلى أبي مالك غزوان الغفاري لكنه لم يذكر عمّن أخذه».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٢/٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٣٣/٢٠).

(٥) أخرجه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٩٥)، والداني في السنن الواردة في الفتن (١٢٤٣/٥).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٣٣/٢٠).

آن للساعة»[١].

١١–وكذلك ورد مثل هذا التفسير عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم فقد أخرج الطبري بسنده عن عبدالرحمن في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} قال: «نزول عيسى بن مريم علم للساعة حين ينزل»[٢].

وجمع ابن كثير بعض من روي عنهم هذا التفسير من السلف فقال: «وهكذا روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغيرهم»[٣].

وقد اختار هذا القول أكثر العلماء، ووصفه النحاس بأنه «أبين وعليه أكثر الناس»[٤]، وممن اختار هذا القول: عبدالملك بن حبيب، وابن قتيبة، والزجاج، وابن أبي زمنين، وأبو عمرو الداني، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وأبو حيان الأندلسي، والشوكاني، والسعدي، والشنقيطي، وغيرهم[٥].

ثانياً: معنى الآية ودلالتها على نزوله عليه السلام

لا ريب أن الشاهد في الآية هو قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}، والقول الراجح أن الضمير في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ} يعود على عيسى عليه

---

(١) أخرجه أبو جعفر الترمذي في الجزء الذي فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني من رواية أبي جعفر الترمذي (٩٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٣٣/٢٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٣٦/٧) لابن كثير.

(٤) إعراب القرآن (١١٧/٤).

(٥) انظر على التوالي: أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار (١٠٥، ١٤٣) لعبد الملك بن حبيب، وتأويل مختلف الحديث (٢٧٢) لابن قتيبة، ومعاني القرآن وإعرابه (٤١٧/٤) للزجاج، وأصول السنة (١٩٢) لابن أبي زمنين، والرسالة الوافية (٢٤٣) لأبي عمرو الداني، والتفسير الوسيط (٧٩/٤) للواحدي، وتفسير القرآن (١١٣/٥) للسمعاني، ومعالم التنزيل (٢١٩/٧) للبغوي، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب (٣٤٦) لابن الجوزي، والبحر المحيط (٢٦/٨) لأبي حيان، وتفسير القرآن العظيم (٢٣٦/٧) لابن كثير، وفتح القدير (٥٦٢/٤) للشوكاني، وتيسير الكريم الرحمن (٧٦٨) للسعدي، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٢٨/٧) للشنقيطي.

السلام، وبهذا يكون معنى الآية أنه يُعلَمُ بنزول عيسى عليه السلام اقتراب الساعة[١].

وفي الآية قراءة أخرى؛ فقد روي أن ابن عباس وأبا هريرة رضي الله عنهما والضحاك وقتادة ومالك بن دينار[٢] قرأوا الآية {وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ} بفتح العين واللام في قوله: {لَعَلَمٌ}، قال الطبري: «واجتمعت قراء الأمصار في قراءة قوله: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} على كسر العين من العِلم، وروي عن ابن عباس ما ذكرت عنه في فتحها، وعن قتادة والضحاك»[٣]، ومعنى الآية بناءً على هذا القراءة يختلف، قال الماتريدي: «ثم قراءة {لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ} بالتثقيل، فمعناه: العلامة لها والدليل عليها، ومن قرأ {لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} بالجزم فمعناه: يُعلم به قرب الساعة»[٤]، وقال أبو عبيد الهروي: «وقوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} أي أن مجيء عيسى عليه السلام دلالة على مجيء الساعة، وبه يعلم مجيء الساعة، ومن قرأ {لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ} فمعناه علامة للساعة»[٥].

وأما عن تخريج إطلاق (عِلْم الساعة) على عيسى عليه السلام في أساليب العربية فقد بينه الشنقيطي رحمه الله فقال: «وإطلاق علم الساعة على نفس عيسى جارٍ على أمرين كلاهما أسلوب عربي معروف:

أحدهما: أن نزول عيسى المذكور لما كان علامة لقربها، كانت تلك العلامة سبباً لعلم قربها، فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب.

وإطلاق المسبب وإرادة السبب أسلوب عربي معروف في القرآن وفي

---

(١) انظر: العين (١٥٣/٢).

(٢) انظر: إعراب القرآن (١١٧/٤) للنحاس، والكشف والبيان (٣٤١/٨) للثعلبي.

(٣) جامع البيان (٦٣٤/٢٠) للطبري.

(٤) تأويلات أهل السنة (٩/ ١٧٩) للماتريدي.

(٥) الغريبين في القرآن والحديث (١٣٢٠/٤).

كلام العرب، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: {وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ} [سورة غافر:١٣] فالرزق مسبب عن المطر، والمطر سببه، فأطلق المسبب الذي هو الرزق وأريد سببه الذي هو المطر، للملابسة القوية التي بين السبب والمسبب.

ومعلوم أن البلاغيين ومن وافقهم يزعمون أن مثل ذلك من نوع ما يسمونه المجاز المرسل، وأن الملابسة بين السبب والمسبب من علاقات المجاز المرسل عندهم.

والثاني من الأمرين: أن غاية ما في ذلك أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: وإنه لذو عِلْمٍ للساعة، أي وإنه لصاحب إعلام الناس بقرب مجيئها، لكونه علامةً لذلك، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في القرآن وفي كلام العرب، وإليه أشار في الخلاصة بقوله[1]:

وما يلي المضاف يأت خلفا عنه في الإعراب إذا ما حذفا

وهذا الأخير أحد الوجهين اللذين وجه بهما علماء العربية النعت بالمصدر، كقولك: زيد كرمٌ وعمرو عدلٌ، أي ذو كرم وذو عدل، كما قال تعالى: {وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ} [سورة الطلاق:٢] وقد أشار إلى ذلك في الخلاصة بقوله[2]:

ونعتوا بمصدرٍ كثيراً فالتزموا الإفراد والتذكيرا»[3]

ومن خلال استعراض أقوال السلف في تفسير الآية يتبين أن الآية دليل صريح على نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة، وأن نزوله علامة من علامات قيام الساعة.

ومن الأقوال المتعلقة بمعنى عود الضمير في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ}

---

(١) انظر: ألفية ابن مالك (٣٨).

(٢) انظر: ألفية ابن مالك (٤٥).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٢٨/٧-١٢٩).

على عيسى عليه السلام ما نُقل عن ابن إسحاق بأن المراد أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى[١]، ولم أقف على هذا القول مروياً عن أحد من السلف أو المفسرين، وقال ابن كثير: «وفي هذا نظر...المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ} [سورة النساء:١٥٩] أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ثم {وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء: ١٥٩]، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: {وَإِنَّهُۥ لَعَلَـمٌ لِّلسَّاعَةِ} أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة»[٢].

وهناك قولان آخران في عود الضمير في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ}:

القول الأول: إن الضمير عائد على القرآن الكريم، وهو القول الذي أشار إليه قتادة بقوله: «وناس يقولون: القرآن علم للساعة»[٣]، ومعنى أن كون القرآن علم للساعة أي: يعلمكم بقيامها، ويخبركم عنها وعن أهوالها[٤]، ولأنه لا ينزل كتاب بعده[٥].

وقد ورد هذا التفسير مسنداً عن الحسن البصري فقد أخرج الطبري بسنده عن الحسن في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} قال: «هذا القرآن»[٦].

ونُسب هذا القول إلى سعيد بن جبير[٧]، وذكر ابن كثير أنه قول بعيدٌ

(١) نسبه إلى ابن إسحاق: ابن هشام في السيرة النبوية (٢٠٦/٢)، والماوردي في النكت والعيون (٢٣٥/٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٢٥/٧).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٣٦/٧) لابن كثير.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٢/٣).
(٤) انظر: جامع البيان (٦٣٣/٢٠) للطبري.
(٥) انظر: إعراب القرآن (٧٨/٤) للنحاس.
(٦) جامع البيان (٦٣٣/٢٠) للطبري.
(٧) انظر: النكت والعيون (٢٣٥/٥) للماوردي، وزاد المسير (٣٢٥/٧) لابن الجوزي.

نظراً لكون سياق الآيات في ذكر عيسى عليه السلام لا في ذكر القرآن الكريم(١).

القول الثاني: أن الضمير في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ} عائد على النبي صلى الله عليه وسلم، لأن النبوة والرسالة ختمت به، ولأنه قال: ((بعثت أنا والساعة كهاتين))(٢) وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، وقد بعثه اللَّه تعالى عند قرب الساعة، فصار علماً للساعة(٣).

ويقال في هذا القول ما قيل في سابقه بأنه قول بعيدٌ نظراً لكون سياق الآيات في ذكر عيسى عليه السلام لا في ذكر محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: قوله تعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ}

تعد هذه الآية في سورة النساء من أظهر الأدلة على نزول عيسى بن مريم عليه السلام، فسياق الآيات جاء في ذكر عيسى عليه السلام قال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [سورة النساء:١٥٧-١٥٩]، فالضميران في قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ} وقوله سبحانه: {قَبْلَ مَوْتِهِۦ} عائدان على عيسى عليه السلام، ومن هنا استدل أبو هريرة رضي الله عنه بهذه الآية على نزوله عليه السلام، فقد

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٣٦/٧) لابن كثير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة والنازعات ح(٤٦٥٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة ح(٨٦٧).

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة (١٧٨/٩-١٧٩) للماتريدي، ومعاني القرآن (٣٨١/٦) للنحاس، والهداية إلى بلوغ النهاية (٦٦٩/١٠) لمكي بن أبي طالب.

أخرج البخاري ومسلم بسندهما عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها))، ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: «واقرؤوا إن شئتم: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا}» [1]، وفي رواية أخرى أن أبا هريرة رضي الله عنه بعد ذكره للآية قال: «قبل موت عيسى بن مريم عليه السلام، رددها أبو هريرة ثلاثاً» [2].

ويمكن الكلام على ما يتعلق بالآية ودلالتها من خلال ما يلي:

أولاً: المرويات الواردة عن السلف في تفسير الآية بنزوله عليه السلام

ورد تفسير هذه الآية بنزول عيسى بن مريم عليه السلام عن عدد من السلف، منهم:

١-**أبو هريرة رضي الله عنه** في الرواية المذكور آنفاً في الصحيحين.

٢-**وابن عباس رضي الله عنهما** فقد أخرج الثوري بسنده من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «قبل موت عيسى صلى الله عليه» [3]، وفي رواية أخرى: «خروج عيسى بن مريم

---

(١) سبق تخريجه في التمهيد.

(٢) أخرجها الثعلبي في تفسيره (٤١١/٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩١/٤٧)، وقال: «ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة».

(٣) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (٩٨)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٦٦٤/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١١١٣/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١٣/٤٧)، والضياء في المختارة (٢٣٨/١٠)، وصحح إسناده ابن كثير في البداية والنهاية (٢١٧/١٩)، وابن حجر في فتح الباري (٤٩٢/٦)، ود.سعد الحميد في تحقيقه لسنن سعيد بن منصور (١٤٣٠/٤).

صلوات الله عليه»[١].

وقد روى الطبري وغيره بسنده من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} يعني: «أنه سيُدرك أناسُ من أهل الكتاب حين يُبعث عيسى فيؤمنون به، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً»[٢].

٣-**وثابت بن الحجاج** فقد أخرج ابن عساكر عن ثابت بن الحجاج في قوله تعالى: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «قبل موت عيسى»[٣].

٤-**والحسن البصري** من خلال روايات عن عدد من الرواة، منها ما أخرجه الطبري بسنده من طريق حميد الطويل عن الحسن في قوله تعالى: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «قبل أن يموت عيسى بن مريم»[٤]، وما أخرجه الطبري أيضاً بسنده من طريق الربيع بن أنس عن الحسن قال: «قبل موت عيسى»[٥]، وما أخرجه الطبري أيضاً بسنده عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن: {إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ

(١) أخرجها الحاكم في المستدرك (٣٣٨/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «على شرط البخاري ومسلم»، ومن طريق الحاكم أخرجها البيهقي في البعث والنشور (١٧٥)، وعزاها السيوطي في الدر المنثور (١٠٦/٥) إلى الفريابي وعبد بن حميد والحاكم، ولم أقف عليها إلا عند الحاكم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٦/٧)، والآجري الشريعة (١٣٢٥/٣)، والأثر وإن كان من رواية عطية العوفي وهو ضعيف إلا أن روايته لا بأس بها إن لم تخالف ما رواه الثقات الأثبات عن ابن عباس، وقد وافقت روايته هنا رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس [انظر: معرفة السنن والآثار (٢٤٣/٩)، والتقرير في أسانيد التفسير (٦٧-٦٨)].

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١٥/٤٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٥/٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٦/٧).

مَوۡتِهِۦ} قال: «عيسى ولم يمت بعدُ»[1]، وما أخرجه الطبري أيضاً بسنده من طريق أبي رجاء محمد بن سيف الحداني عن الحسن في قوله: {إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ}، قال: «قبل موت عيسى، والله إنه الآن لحيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون»[2]، وما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده أن الحسن سُئِل عن: قول الله تعالى: {إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «قبل موت عيسى، إن الله رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاماً يؤمن به البر والفاجر»[3].

٥-**وأبو مالك غزوان الغفاري** من خلال روايات عن عدد من الرواة، منها ما أخرجه الطبري بسنده من طريق هشيم عن حصين عن أبي مالك في قوله: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «ذلك عند نزول عيسى بن مريم، لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به»[4]، وما أخرجه الطبري أيضاً بسنده من طريق عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك قال: «لا يبقى أحدٌ منهم عند نزول عيسى إلا آمن به»[5]، وما أخرجه الطبري أيضاً بسنده من طريق عن سفيان، عن حصين، عن أبي مالك قال: «قبل موت عيسى»[6]، وما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده من طريق سليمان بن كثير عن حصين عن أبي مالك قال: «ليس أحد من أهل الأرض يدركه نزول عيسى بن مريم إلا آمن به،

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٦/٧).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٥/٧).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١١٣/٤).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٤/٧)، والآجري في الشريعة (١٣٢٥/٣).
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٦/٧).
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٦/٧).

وذلك قوله: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ}»[١].

٦-**وقتادة** فقد أخرج عبد الرزاق بسنده عن قتادة في قوله تعالى: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «قبل موت عيسى، إذا نزل آمنت به الأديان كلها»[٢]، وأخرج الطبري بسنده من طريقين عن قتادة في قوله {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «قبل موت عيسى»[٣]، وأخرج ابن أبي زمنين بسنده عن قتادة في قوله: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «قبل موت عيسى إذا نزل ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً بأنه قد بلغ رسالات ربه وأقر بالعبودية على نفسه»[٤].

٧-**وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم** فقد أخرج الطبري بسنده عن ابن زيد في قوله: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} قال: «إذا نزل عيسى بن مريم فقتل الدجال، لم يبق يهوديٌّ في الأرض إلا آمن به، قال: فذلك حين لا ينفعهم الإيمان»[٥].

وهذا القول هو قول جمهور أهل العلم[٦]، ووصفه البغوي بأنه «قول أكثر المفسرين وأهل العلم»[٧].

وممن اختار هذا القول: عبدالملك بن حبيب، والإمام أحمد بن حنبل،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١١٣/٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٧/١)، وعبد الملك بن حبيب في أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار (١٤٤)، والطبري في تفسيره (٦٦٥/٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١١/٥) إلى عبد بن حُميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٥/٧).

(٤) أخرجه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٩٦) وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٦/٧).

(٦) انظر: زاد المسير (٢٤٧/٢) لابن الجوزي، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٤/٤).

(٧) معالم التنزيل (٣٠٧/٢).

وابن قتيبة، وابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، ومكي بن أبي طالب، وأبو عمرو الداني، وابن تيمية، وأبو حيان الأندلسي، وابن كثير، والشوكاني، والشنقيطي، وابن عثيمين، وغيرهم[1].

ثانياً: معنى الآية ودلالتها على نزوله عليه السلام

فلا ريب أن دلالة الآية في قوله تعالى: {قَبْلَ مَوْتِهِۦ}، والقول الراجح أن الضميرين في قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ} وقوله سبحانه: {قَبْلَ مَوْتِهِۦ} يعودان على عيسى عليه السلام، ومعنى الآية أن أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى قبل موته وذلك بعد نزوله في آخر الزمان[2]، لأن هذا المعنى يتفق مع سياق الكلام، وما ثبت من أحاديث نزول عيسى آخر الزمان وإيمان أهل الكتاب جميعاً وغيرهم به؛ جمعاً بين الأدلة، ومحافظةً على مقصد المتكلم من كلامه[3].

وفي عَوْدِ الضميرين في قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ} وقوله سبحانه: {قَبْلَ مَوْتِهِۦ} أقوالٌ أخرى كما يلي:

القول الأول: أن الضمير في قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ} يعود على عيسى عليه السلام وأما الضمير في قوله سبحانه: {قَبْلَ مَوْتِهِۦ} فيعود على

---

(١) انظر على التوالي: أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار (١٤٤) لعبد الملك بن حبيب، ومسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله (٤٤١)، وتفسير غريب القرآن (١٣٧) لابن قتيبة، وجامع البيان (٦٧٢/٧) للطبري، وتفسير القرآن العزيز (٤١٩/١) لابن أبي زمنين، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٥٢٤/٢) لمكي بن أبي طالب، والرسالة الوافية (٢٤٣) لأبي عمرو الداني، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٠/٣) (٣٨٢/٤) لابن تيمية، والبحر المحيط (١٢٩/٤) لأبي حيان الأندلسي، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٤/٢) لابن كثير، وفتح القدير (٥٣٥/١) للشوكاني، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٢٩/٧) للشنقيطي، وشرح العقيدة الواسطية (٣٨٧/١) لابن عثيمين.

(٢) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣٩٧/٢).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٢١/٣).

أهل الكتاب، فما من أحدٍ من أهل الكتاب إلا سيؤمن بعيسى عليه السلام إذا حضرته الوفاة، وقد ورد هذا التفسير مسنداً عن ابن عباس رضي الله عنهما[١]، ومجاهد[٢]، وعكرمة[٣]، والضحاك[٤] والحسن البصري[٥]ومحمد بن سيرين[٦] وجويبر بن سعيد الأزدي[٧]، ونُسب إلى محمد بن الحنفية[٨].

قال ابن كثير: «فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس، وكذا صحّ عن مجاهد، وعكرمة، ومحمد بن سيرين، وبه يقول الضحاك، وجويبر، والسدي وحكاه عن ابن عباس»[٩].

وممن اختار هذا القول: المبرد، والزجاج، وابن عطية الأندلسي، والرازي، وأبو الثناء الألوسي، وابن عاشور[١٠].

---

(١) وردت الرواية عن ابن عباس من عدد من الطرق: **منها رواية سعيد بن جبير** عن ابن عباس وقد أخرجها سعيد بن منصور في سننه (١٤٢٧/٤) والطبري في تفسيره (٦٦٨/٧) وسندها ضعيف لأنه من رواية عتاب بن بشير عن خصيف الجزري، وعتاب لا بأس به إلا أن روايته عن خصيف منكرة، وخصيف صدوق سيء الحفظ، كما ذكر د.سعد الحميد محقق سنن سعيد بن منصور (٢٧٦/٢-٢٧٧)، **ومنها رواية علي بن أبي طلحة** عن ابن عباس وقد أخرجها الطبري في تفسيره (٦٦٧/٧)، **ومنها رواية عكرمة** عن ابن عباس وقد أخرجها الطبري في تفسيره (٦٦٨/٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (١١١٣/٤)، **ومنها رواية السدي** عن ابن عباس وقد أخرجها الطبري في تفسيره (٦٧١/٧).

(٢) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (٩٨)، وأخرجه من عدد من الطرق عن مجاهد الطبري في تفسيره (٦٦٧/٧-٦٧٠).

(٣) أخرجه من طريقين عن عكرمة الطبري في تفسيره (٦٦٩/٧-٦٧٠).

(٤) أخرجه من طريقين عن الضحاك الطبري في تفسيره (٦٧٠/٧-٦٧١).

(٥) أخرجه من طريقين عن الحسن الطبري في تفسيره (٦٧٠/٧).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٧١/٧).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٧١/٧).

(٨) انظر: الدر المنثور (١١٠/٥-١١١).

(٩) تفسير القرآن العظيم (٤٥٤/٢) لابن كثير.

(١٠) انظر على التوالي: الكامل في اللغة والأدب (١٣٢/٣) للمبرد، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٢٩) للزجاج، والمحرر الوجيز (١٣٤/٢) لابن عطية الأندلسي، ومفاتيح الغيب (٢٦٣/١١) للرازي، وروح المعاني (١٨٨/٣) للألوسي، والتحرير والتنوير (٢٥/٦) لابن عاشور.

واستُدلَ لهذا القول بقراءة أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه: {قبل موتهم}[1]، وقالوا (إنْ) في الآية بمعنى (ما) فالمعنى عندهم: ما أحدٌ من أهلِ الكتابِ إلا ليؤمنن به، وذكر سيبويه أنه سُمع عن بعض العرب الموثوق بهم قولهم: ما منهم مات حتى رأيته في حال كذا وكذا، وإنما يريد ما منهم واحد مات[2]، ونقل الأزهري عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري قوله: «(إنْ) تقع في موضع من القرآن موضع (ما)»[3] ثم استدل بهذه الآية، وهؤلاء يقولون: معنى (إن) في الآية كمعناها في قوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا} [سورة مريم:٧١].

وقد ردّ الإمام الطبري هذا القول؛ لأنه يلزم عليه ألا يرث الكتابي – إذا مات على ملته– إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم إن كانوا مسلمين، وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله ودفنه، لأن من مات مؤمناً بعيسى عليه السلام فقد مات مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل؛ وذلك أن عيسى صلوات الله عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين[4].

كما بيّن ابن تيمية[5] ضعف هذا القول لعدد من الاعتبارات وهي:

أولاً: أن من قال بهذا القول جعل إيمان الكتابي عند خروج نفسه، ومعلوم أن توبة العبد لا تقبل بعد الغرغرة، ومعلوم أن كلَ أحدٍ بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده فلا اختصاص للمسيح به، ولأن الله تعالى قال: {قَبْلَ مَوْتِهِۦ} ولم يقل: بعد موته.

(١) انظر: معاني القرآن (٢٩٥/١) للفراء، وأخرجها سعيد بن منصور في سننه (١٤٢٧/٤) والطبري في تفسيره (٦٦٨/٧، ٦٧١) بسندهما من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهي قراءة شاذة.

(٢) انظر: الكتاب (٣٤٥/٢) لسيبويه.

(٣) تهذيب اللغة (٤٠٧/١٥) للأزهري.

(٤) انظر: جامع البيان (٦٧٢/٧-٦٧٣) للطبري.

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٥/٤-٣٦).

ثانياً: أنه على هذا القول لا يوجد فرق بين إيمان الكتابي بالمسيح وبمحمد صلوات الله عليهما وسلامه، لأن اليهودي الذي يموت على اليهودية يموت كافراً بمحمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام.

ثالثاً: أن قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ} فعلٌ مقسم عليه، وهذا إنما يكون في المستقبل، فدلّ ذلك على أن هذا الإيمان بعد إخبارِ الله بهذا، ولو أُريد به قبل موت الكتابي لقال: وإن من أهل الكتاب إلا من يؤمن به، لم يقل: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ}.

رابعاً: أن الله تعالى قال: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ} وهذا يعمُ اليهود والنصارى، بخلاف قول هؤلاء الذي خصوه باليهود، فالآية تدل على أن جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح وذلك عند نزوله آخر الزمان، فتؤمن اليهود بأنه رسول الله ليس كاذباً كما يزعمون، وتؤمن النصارى أنه ليس الله أو ابن الله كما يزعمون.

خامساً: أن المحافظة على عموم الآية في إيمان كل من كان موجوداً حين نزوله أولى من أن يُدّعى أن كل كتابي يؤمن به قبل أن يموت الكتابي؛ لأن هذا يستلزم إيمان كل يهودي ونصراني به وهو خلاف الواقع، ومثل الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة))[1] فالمراد أن الدجال سيدخل كل المدائن الموجودة حينئذ.

ويفهم من كلام ابن كثير[2] تضعيف هذا القول لمخالفته المقصود من سياق الآيات، فسياقها في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلّم لهم من جهلة النصارى، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه البخاري في أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(١٧٨٢)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ح(٢٩٤٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٥٤/٢) لابن كثير.

كذلك، وإنما شُبِه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إن الله رفع عيسى عليه السلام إليه، وهو باقٍ حيٍ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة.

وبيّن الشنقيطي[1] ضعف هذا القول لأوُجه:

الوجه الأول: أنه هذا القول خلاف ظاهر القرآن والمتبادر منـــه، ولا تنسجم معه ضمائر الآيات؛ فالضمائر في سياق الآيات كلها تعود إلى عيسى عليه السلام، {وَمَا قَتَلُوهُ} أي عيسى، {وَمَا صَلَبُوهُ} أي عيســـى، {وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ} أي عيســـى، {وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ} أي عيســـى، {لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ} أي عيســـى، {مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ} أي عيســـى، {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا} أي عيسى، {بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ} أي عيسى، {وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ} أي عيســـى، {قَبْلَ مَوْتِهِۦ} أي عيســـى، {وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} أي يكون عيسى عليهم شهيداً، فالسياق القرآني ظـــاهرٌ ظهـــوراً لا ينبغـــي العدول عنه، في أن الضمير في قوله: (قبل موته) راجع إلى عيسى.

الوجه الثاني: أن مُفسّر الضمير في هذا القول ليس مذكوراً في الآية أصلاً، بل هو مُقدّرٌ وتقديره: ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته، فالمقدر: موت أحد من أهل الكتاب، لم يذكر في الآية مطلقاً، بخلاف القـــول الصحيح فمفسر الضمير ملفوظ مصرح به في الآية، وهـــو قولـــه تعـــالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ}، ولا شـــك أن مـــا لا يحتاج إلى تقدير أرجح وأولى مما يحتاج إلى تقدير.

الوجه الثالث: أن هذا القول لم يقم عليه دليل من كتـــاب ولا ســـنة، بخلاف القول الصحيح فقد شهدت له السنة النبوية المتواترة القطعيـــة فـــي نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

الوجه الرابع: أن هذا القول مُشكلٌ لا يكاد يصدق إلا مع تخصـــيص،

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/١٣٠-١٣١) للشنقيطي.

والتأويلات المروية عن بعض السلف فيه ظاهرة البعد والسقوط، ووجه الإشكال بالنسبة لكل من فاجأه الموت من أهل الكتاب، كالذي يسقط من عالٍ إلى أسفل، والذي يقطع رأسه بالسيف وهو غافل، والذي يموت في نومه ونحو ذلك، فلا يصدق هذا العموم المذكور في الآية على هذا النوع من أهل الكتاب، إلا إذا ادعى إخراجهم منه بمخصص، ولا سبيل إلى تخصيص عمومات القرآن إلا بدليل، وما ذُكر عن ابن عباس من أنه سئل فقيل له: «وإن ضرب بالسيف؟ فقال: يتكلم به وقيل له: وإن هوى؟ قال: يتكلم به وهو يهوي»(١) فلا يخفى بُعده وسقوطه، وأنه لا دليل عليه.

وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة بشأن هذا القول المرجوح أن من: «نظر إلى هذه الآية مجردة عما قبلها، وعن القصد الذي سيقت له، وعن الأدلة الأخرى التي وردت في موضوعها، وتأولها على معنى: لا أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن بالله أو بعيسى قبل موته، أي الكتابي؛ فقد خالف ظاهر الآية وسياق الكلام وما ثبت من الأدلة الأخرى في شأن عيسى، وكان بذلك ممن اتبع ما تشابه من المنزل ولم يرده إلى المحكم منه»(٢).

القول الثاني: أن الضمير في قوله تعالى: {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ} يعود على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأما الضمير في قوله سبحانه: {قَبْلَ مَوْتِهِۦ} فيعود على الكتابي، فما من أحدٍ من أهل الكتاب إلا سيؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا حضرته الوفاة، وقد ورد هذا مسنداً عن عكرمة(٣).

وقد أبطل هذا القول الإمام أحمد لعدم وجود ذكر لمحمد صلى الله

---

(١) ورد هذا من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد أخرجها سعيد بن منصور في سننه (١٤٢٧/٤) والطبري في تفسيره (٦٦٨/٧) وسندها ضعيف لأنه من رواية عتاب بن بشير عن خصيف الجزري، وعتاب لا بأس به إلا أن روايته عن خصيف منكرة، وخصيف صدوق سيء الحفظ، كما ذكر د.سعد الحميد محقق سنن سعيد بن منصور (٢٧٦/٢-٢٧٧).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٢١/٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٧٢/٧).

عليه وسلم في سياق الآيات، قال عبدالله بن الإمام أحمد: سألت أبي هذه الآية: {وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ} فقال ابن عباس وغيره قالوا عيسى ثم تلا {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ} [سورة النساء:١٥٧-١٥٩]، قال: «فهذا يدل على أنه عيسى ليس هو محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو عيسى»[1].

ونصّ الإمام الطبري بأن هذا القول لا وجه له لأنه لا يجوز إخــراج الكلام عن سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم بها[2].

(١) مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله (٤٤١).

(٢) انظر: جامع البيان (٦٧٤/٧) للطبري.

المبحث الثالث: قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا}.

من أدلة القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام قوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [سورة آل عمران:٤٥-٤٦]، وكذلك قوله تعالى: {إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [سورة المائدة:١١٠]، فقوله سبحانه: {وَكَهْلًا} في الآيتين معطوف على محل الجار والمجرور في قوله تعالى: {ئز ئم}، ومن المعلوم أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء ولم يبلغ سِنّ الكهولة، فدلّت الآية على أنه سيُكلّم الناسَ وقت كهولته إذا نزل في آخر الزمان، خاصة أن مساق الآيتين كان في ذكر الآيات الدالة على نبوة عيسى عليه السلام، ذلك أن كلامه الناسَ وقت الكهولة لا يميزه عن غيره؛ فكل كهلٍ يُكلّم الناس، لكن الآية العظمى أن يكلمهم وقت كهولته بعد نزوله عليه السلام في آخر الزمان.

ويمكن الكلام على ما يتعلق بالآية ودلالتها من خلال ما يلي:

أولاً: المرويات الواردة عن السلف في تفسير الآية بنزوله عليه السلام

ورد تفسير هذه الآية بنزول عيسى بن مريم عليه السلام مسنداً عن **عبدالرحمن بن زيد بن أسلم** فقد أخرج الطبري بسنده عن عبدالرحمن في قوله: {وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا} قال: «قد كلمهم عيسى في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهل»[1]، وفي رواية عنه قال: «رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً، قال: وينزل كهلاً»[2].

ونُقل هذا أيضاً عن عدد من السلف منهم:

١-**ابن عباس** رضي الله عنهما، فقد نقل ابن الجوزي عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَكَهْلًا} قال: «ذلك بعد نزوله من السماء»[3]، ولعل ابن الجوزي فهمه من الأثر الذي أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله: {وَكَهْلًا} قال: «في سن الكهل»[4].

٢-**وسعيد بن المسيب** كما نقله الألوسي[5].

٣-**ومحمد بن السائب الكلبي** كما نقله السمرقندي[6].

٤-**والحسين بن الفضل البجلي** فقد نقل الثعلبي عنه أنه سُئل: «هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ فقال: نعم، قوله: {وَكَهْلًا}، وهو لم يكتهل في الدنيا، وإنّما معناه و{وَكَهْلًا} بعد نزوله من السماء»[7]، ونقل

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٤١٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٤٤٩).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (١/٢٨٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٣٩).

(٥) انظر: روح المعاني (٢/١٥٧) للألوسي.

(٦) انظر: بحر العلوم (١/٢٣٨) للسمرقندي.

(٧) الكشف والبيان (٣/٨٢) للثعلبي، وانظر: معالم التنزيل (٢/٤٦) للبغوي، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢/٣٤٠).

الرازي عن الحسين بن الفضل أنه قال: «وفي هذه الآية نص في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض»[١].

٥-**وأبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بـــ(ثعلب)** فقد نقل الأزهري عن المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال: «ذكر الله جل وعز لعيسى آيتين: إحداهما: تكليمه الناس في المهد، فهذه معجزة، والأخرى: نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلاً ابن ثلاثين سنة يكلم أمة محمد، فهذه الآية الثانية»[٢]، وفي رواية: «كلمهم في المهد حين برَّأ أمَّه، فقال: {إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ...الآية} [سورة مريم:٣٠]، وأما كلامه وهو كهل فإذا أنزله الله في صورة ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة، وهو الكهل فيقول لهم: {إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ} كما كلمهم في المهد فهاتان آيتان وحجتان»[٣].

وقد اختار هذا القول من العلماء: عبدالملك بن حبيب، والبيضاوي، وهو ظاهر اختيار السيوطي، والألوسي[٤].

ثانياً: معنى الآية ودلالتها على نزوله عليه السلام

الاستدلال بهذه الآية على نزول عيسى عليه السلام لا يتم إلا بأمرين:

الأول: أن تكون كلمة: {وَكَهْلًا} في الآيتين معطوفة على محل الجار والمجرور في قوله تعالى: {فِي ٱلْمَهْدِ}، فيكون المعنى أنه يُكلِّم الناس صغيراً وكبيراً.

الثاني: أن يكون عيسى بن مريم عليه السلام رُفع قبل أن يكتهل.

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٢٥/٨)، وانظر: تفسير الخازن (٢٤٦/١).

(٢) تهذيب اللغة (١٤/٦).

(٣) الغريبين في القرآن والحديث (١٦٥٧/٥) لأبي عبيد الهروي.

(٤) انظر على التوالي: أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار (١٤٣) لعبد الملك بن حبيب، وأنوار التنزيل (١٧/٢، ١٤٩) للبيضاوي، وتفسير الجلالين (١٦٠) لجلال الدين السيوطي، وروح المعاني (١٥٧/٢) للألوسي.

فأما الأول فهو قول جمهور المفسرين وقد اختاره –بالإضافة إلى من فسّر الآيةَ بنزول عيسى بن مريم عليه السلام– عدد من السلف منهم:

١–**عبدالله بن عباس رضي الله عنهما**، فقد أخرج ابن أبي حاتم بسنده من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا} قال: «في سن كهل»[1].

٢–**والحسن البصري**، فقد أخرج الطبري بسنده عن الحسن في قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا} قال: «كلمهم في المهد صبياً، وكلمهم كبيراً»[2].

٣–**وقتادة بن دعامة السدوسي**، فقد أخرج الطبري بسنده عن قتادة في قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا} قال: «يكلمهم صغيراً وكبيراً»[3].

٤–**والربيع بن أنس**، فقد أخرج الطبري بسنده عن الربيع في قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا} قال: «يكلمهم صغيراً وكبيراً»[4]

٥–**وعبدالملك بن جريج**، فقد أخرج الطبري بسنده عن ابن جريج في قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا} قال: «كلمهم صغيراً وكبيراً وكهلاً»[5].

وممن رجَّح كون العطف في قوله تعالى: {وَكَهْلًا} على محل الجار والمجرور في قوله تعالى: {ئز ئم} –بالإضافة إلى من اختار من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٢/٢).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٤/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٢/٢).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٣/٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢٠٣/١).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٣/٥).
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٤/٥).

العلماء تفسير الآية بنزول عيسى بن مريم عليه السلام- الطبري، والزجاج، وأبو بكر الأنباري، والسجستاني، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، وابن جُزي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم(١).

والقول الثاني في عود الضمير: قول من رأى أن قوله تعالى: {وَكَهْلًا} معطوف على قوله تعالى: {وَجِيهًا} وهو اختيار الفراء والأخفش(٢)، فيكون المعنى أن عيسى سيكون كهلاً، وليس لمعنى الآية علاقة بكلامه الناسَ في سنّ الكهولة.

وقد وصف أبو حيان الأندلسي هذا القول بالبعد، وبيّن أن الآية عطف لصريح الحال على الجار والمجرور الذي في موضع الحال، ونظيره عكساً: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ} [سورة الصافات:١٣٧-١٣٨]، ثم قال: «ومن زعم أن: {وَكَهْلًا} معطوف على: وجيهاً، فقد أبعد»(٣).

وعليه فالراجح -والله أعلم- أن قوله تعالى: {وَكَهْلًا} في الآيتين معطوفٌ على محل الجار والمجرور في قوله تعالى: {فِي ٱلْمَهْدِ}.

<u>وأما الثاني</u> فقد ورد عن عدد من السلف أن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء وعمره ثلاثٌ وثلاثون سنة أو قريباً منها، ومن هؤلاء:

١-**معاذ بن جبل رضي الله عنه،** فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن عبد الله بن قرط قال: «حضرتُ وفاةَ معاذ بن جبل فقال: روحوني ألقى الله مثل

---

(١) انظر على التوالي: جامع البيان (٤١٢/٥) للطبري، ومعاني القرآن وإعرابه (٤١٢/١) للزجاج، وإيضاح الوقف والابتداء (٥٧٧/٢) لأبي بكر الأنباري، وغريب القرآن (٥٣٠) للسجستاني، وتفسير القرآن العزيز (٢٨٩/١) لابن أبي زمنين، والتفسير البسيط (٢٦١/٥) للواحدي، وتفسير القرآن (٣٢٠/١) للسمعاني، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٥٣/١) لابن جزي الغرناطي، والبحر المحيط (٤٨٣/٢) لأبي حيان الأندلسي.

(٢) انظر على التوالي: معاني القرآن (٢١٣/١) للفراء، ومعاني القرآن (٢١٩/١) للأخفش.

(٣) البحر المحيط (٤٨٣/٢)، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٨٦/١٠-٨٧).

سن عيسى بن مريم ابن ثلاثٍ وثلاثين أو أربعٍ وثلاثين سنة»[1]، قال الذهبي: «يعني عندما رفع عيسى إلى السماء»[2].

٢-**عبدالله بن عباس رضي الله عنهما**، فقد أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ} [سورة الأحقاف:١٥] قال: «ثلاثة وثلاثين سنة، وهو الذي رُفع عليه عيسى بن مريم عليه السلام»[3].

٣-**سعيد بن المسيب**، فقد أخرج ابن سعد بسنده عن سعيد بن المسيب قال: «رفع عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة»[4].

٤-**الحسن البصري**، فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن الحسن أنه قال: «ورُفع وهو ابن أربع وثلاثين سنة من ميلاده»[5].

٥-**وهب بن منبه**، فقد أخرج الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال: «لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة، أوحى الله إلى أمه وهي بأرض مصر، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر: أنْ اطلعي به إلى الشام، ففعلت الذي أُمرت به، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٥٩/٥٨)، وانظر: تهذيب الكمال (١١٤/٢٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٦١/١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١١١/٤)، وكذلك الطبراني في الأوسط (٥٣/٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٦/٧): «وفيه صدقة بن يزيد وثقه أبو زرعة وأبو حاتم، وضعفه أحمد وجماعة، وبقية رجاله ثقات».

(٤) الطبقات الكبرى (٥٩٠/٣) (٣٨٩/٧)، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٤٨١/١) (٣١٣/٣، ٣٧٨)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٥٥٩، ٦٠٣، ٧١٥)، والحاكم في المستدرك (٣٠٢/٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٤٣٣/٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨٤/٤٧) (٤٥٨/٥٨)، وقال د.وصي الله عباس في تحقيقه لكتاب العلل للإمام أحمد: «إسناده ضعيف لأجل علي بن زيد بن جدعان».

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧٠/٤٧).

سنة، وكانت نبوّته ثلاث سنين، ثم رفعه الله إليه»[١].

وقال بهذا مقاتل بن سليمان، والإمام مالك، والسمرقندي، والثعلبي، والبغوي، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن الوردي، وصححه ابن كثير، واختاره السخاوي، والرملي، وغيرهم[٢].

وبناءً على هذه الروايات فإن عيسى عليه السلام رُفع قبل بلوغه سنّ الكهولة؛ لأن أكثر علماء اللغة على أن الكهل هو من جاوز الثالثةَ والثلاثين حتى الخمسين، وتفصيل هذا: أن منهم من رأى أنه من جاوز الثالثةَ والثلاثين[٣]، ومنهم من قال إنه من ناهز الأربعين[٤]، ومنهم من رأى أنه مَنْ جاوز الأربعين حتى سن الخمسين[٥]، ومنهم من فسّر الكهل بمن وَخَطَهُ الشيب[٦]، والشيب غالباً لا يظهر إلا لمن جاوز الأربعين أو قاربها، فالكهولة مرتبطة بالمشيب وكِبَر السّن، وهو ما لم يبلغه عُمْر عيسى عليه السلام قطعاً، فكان ربط الكهولة بنزوله آخر الزمان أولى.

ومن السلف من فسّر الكهل بالحليم، وقد ورد هذا مسنداً عن **مجاهد بن جبر المكي** فقد روى الطبري بسنده عن مجاهد في قوله تعالى:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢٤/٥-٤٢٥).

(٢) انظر على التوالي: تفسير مقاتل (٤١٢/١) (٦٢٤/٢)، والتمهيد (٢٠٠/١٤) لابن عبدالبر، وبحر العلوم (٤٤٩/١) للسمرقندي، والكشف والبيان (٨٠/٣) للثعلبي، ومعالم التنزيل (٤٥/٢) للبغوي، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٣٨/٢) لابن الجوزي، والكامل في التاريخ (٢٧٤/١) لابن الأثير، وتاريخ ابن الوردي (٣٢/١) لابن الوردي، وتفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٢) لابن كثير، والأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية (٧٥٢/٢، ٨٥٠) للسخاوي، وفتاوى الرملي (٣٧٩/٤).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (١٤٢/٤)، المخصص (٦٢/١)، وتفسير العز بن عبدالسلام (٢٦٣/١).

(٤) انظر: إعراب القرآن (٣٧٨/١) للنحاس، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٥٩١٧/٩)، والمغرب في ترتيب المعرب (٢٣٧/٢).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٦)، وفقه اللغة وسر العربية (٧٨)، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلافظ (٧٢).

(٦) انظر: العين (٣٧٨/٣)، والمحيط في اللغة (٣٥٧/٣)، والصحاح (١٨١٣/٥).

{وَكَهْلًا} قال: «الكهل: الحليم»[1]، ويظهر أن مجاهداً فسّره بلازمه؛ لأن الغالب أن الكهل يكون فيه وقار وسكينة، وقول مجاهد متسقٌ مع قول الفراء والأخفش -المذكور آنفاً- بأن قوله تعالى: {وَكَهْلًا} معطوف على قوله: {وَجِيهًا}[2].

لكن هذا التفسير مخالفٌ لقول الجمهور، كما أنه لا يعرفه أهل اللغة، قال أبو جعفر النحاس: «هذا لا يُعرف في اللغة، وإنما الكهل عند أهل اللغة من ناهز الأربعين، وقال بعضهم: يقال له: حدث إلى ست عشرة سنة، ثم شاب إلى اثنتين وثلاثين سنة، ثم يكتهل في ثلاث وثلاثين»[3].

وحتى على القول بأن عيسى عليه السلام رُفع بعد أن بلغ سنّ الكهولة فإن في الآية دلالة على نزوله عليه السلام وكلامه الناسَ بعد نزوله، لأن القول بأنه يكون مكلماً الناسَ كهلاً بعد نزوله هو من لوازم القول بأنه كلمهم كهلاً قبل رفعه؛ لأنه إن كان رُفِع في حال كهولته، وبعد تبليغهم الرسالة في هذه الحال، فإذا نزل فإنه سينزل على ما كان رُفِعَ عليه من العمر، والله أعلم، من ثَمَّ فإن هذا المعنى -وهو الإشارة إلى نُزوله- حصل باعتبارين: **الاعتبار الأول:** نصٌّ بعض المتقدمين على أنه يكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل، **الاعتبار الثاني:** أنه يلزم من رفعه أن يكون نزوله على حاله التي رُفع عليها، وهي مرحلة الكهولة، فيكون نزوله متمِّمًا لكلامه الناسَ في الكهولة، وعلى هذا تكون إشارة إلى نزوله إلى الأرض، وإتمامه بقية حياته

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٤/٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢٠٣/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٢/٢) (١٢٣٩/٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤٣٧/١) لابن عطية، والبحر المحيط (٤٨٣/٢) لأبي حيان، وفتح الباري (٤٧٢/٦) لابن حجر.

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١٥٩/١).

فيها[١].

وعليه فالراجح -والله أعلم- أن عيسى عليه السلام رُفع قبل أن يكتهل، وسينزل قبل يوم القيامة إلى الأرض ليكتهل، خاصة أن سياق الآيتين كان في ذكر الآيات الدالة على نبوة عيسى عليه السلام، ذلك أن كلامه مع الناس وقت الكهولة لا يتميز به عن غيره؛ لأن كل كهلٍ يُكلّم الناس، لكن الآية العظمى أن يكلمهم وقت كهولته بعد نزوله عليه السلام في آخر الزمان، فتكون الآية دالة على نزوله في آخر الزمان.

(١) انظر: مقال بعنوان: دلالة القرآن على عودة عيسى عليه السلام، د.مساعد الطيار، موقع الإسلام اليوم على الرابط: https://www.islamtoday.net/fatawa/quesshow-60-22991.htm، تاريخ زيارة الموقع ١٤٤١/٩/٢٤هـ، بتصرف.

الفصل الثاني:

الآيات التي علّق السلف وقوعها بنزول عيسى عليه السلام

المبحث الأول: قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ}

يُعدُّ قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ} [سورة التوبة:٣٣] من الآيات التي نصّ بعض السلف على أنها تتحقق بنزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، وهذه الآية وردت أيضاً في سورتي الفتح والصف، فقوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ} يعود على أقرب مذكور وهو دين الحق والمقصود دين الإسلام، وظهوره من جهة أنه لا يبقى كافرٌ إلا أسلم فلا يبقى حينئذٍ مع الإسلام دينٌ آخر عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، لكون السياق في سورتي التوبة والصف جاء في ذكر عيسى بن مريم، ويمكن الكلام على ما يتعلق بالآية ودلالتها من خلال ما يلي:

أولاً: المرويات الواردة عن السلف في ظهور الإسلام على الأديان بنزوله عليه السلام

ورد ربط ظهور دين الإسلام على سائر الأديان -الوارد في هذه الآية- بنزول عيسى بن مريم عليه السلام عن عدد من السلف، منهم:

١-**أبو هريرة رضي الله عنه** فقد أخرج الثوري بسنده من طريق نبيح عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «خروج عيسى بن مريم صلوات الله عليه»(١).

٢-**وجابر بن عبد الله رضي الله عنه** فقد أخرج سعيد بن منصور بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام»(٢).

٣-**وأبو صالح مولى أم هانئ،** فقد أخرج عبد الملك بن حبيب بسنده من طريق الكلبي عن أبي صالح في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «ذلك حين ينزل عيسى عليه السلام مصدقاً بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيقتل الدجال، ويُسلم عند نزوله كل يهودي ونصراني

---

(١) أخرجه الثوري في تفسيره (١٢٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٨/٧) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ، قال د.محمد القرشي في رسالته وكيع بن الجراح أقواله ومروياته في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الكهف (١٠١٠/٣): «إسناده ضعيف لأجل نبيح فإنه مقبول عند المتابعة وإلا فليّن الحديث» ونبيح هو ابن عبدالله العنزي أبو عمرو الكوفي من مقبول من الثالثة، كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٩/٦) (٥٤٥/١١) والدولابي في الكنى والأسماء (١٠٥٦/٣) والطبري في تفسيره (٤٢٣/١١) مع إبهام الراوي عن أبي هريرة، هكذا من طريق شيخ عن أبي هريرة، وضعفه د.سعد الحميد في تحقيقه لسنن سعيد بن منصور وقال: «ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة، فإن كان أبا جعفر الباقر فيكون ضعيفاً للانقطاع بينه وبين أبي هريرة».

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٤٨/٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٣/٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١١/٤٧)، قال محقق سنن سعيد بن منصور د.سعد الحميد: «سنده ضعيف جداً لشدة ضعف عمرو بن ثابت، ومع ذلك فقد خولف».

وصاحب ملة فيكون الدين واحد...فذلك حين تضع الحرب أوزارها ويظهر الإسلام على الدين كله ولو كره المشركون»(١).

٤-**وأبو جعفر محمد بن علي الباقر**، فقد أخرج الطبري بسنده عن أبي جعفر في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «إذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين»(٢).

٥-**ومجاهد بن جبر المكي**، فقد أخرج البيهقي بسنده عن مجاهد في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «إذا نزل عيسى بن مريم لم يكن في الأرض إلا الإسلام {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ}»(٣)، وعند الطبري بسنده عن مجاهد في قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [سورة محمد:٤] قال: «حتى يخرج عيسى بن مريم، فيسلم كلّ يهودي ونصرانيّ وصاحب ملة، وتأمن الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جِراباً، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دماً إذا وضعها»(٤).

٦-**وعبدالله بن أبي نجيح**، فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن عبدالله بن أبي نجيح في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «إذا نزل عيسى بن مريم لم يكن في الأرض إلا الإسلام، فذلك قوله: {لِيُظْهِرَهُۥ

---

(١) أخرجه عبد الملك بن حبيب في أشراط الساعة (١٣٦)، ومحمد بن السائب الكلبي متروك، وروايته عن أبي صالح كلها منكرة، قال يحيى بن معين: «أبو صالح مولى أم هانئ ليس به بأس فإذا روى عنه الكلبي فليس بشيء وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس لأن الكلبي يحدث به مرة من رأيه ومرة عن أبي صالح ومرة عن أبي صالح عن ابن عباس» [انظر: الجرح والتعديل (٤٣٢/٢) لابن أبي حاتم، والكامل في ضعفاء الرجال (١١٩/٦)، وميزان الاعتدال (٥٥٧/٣)].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢٣/١١).

(٣) أخرجه أبو جعفر الترمذي في الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني من رواية مسلم بن خالد الزنجي (٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٣/٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١٢/٤٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٨/٢١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٣/٩).

عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ}»[١].

ونُسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنهما[٢]، والضحاك[٣]، واختاره الطبري، ومكي بن أبي طالب، والواحدي، والسمعاني، وهو ظاهر اختيار ابن عطية، والخازن، ونسبه الألوسي لأكثر المفسرين[٤].

ثانياً: معنى الآية ودلالتها على نزوله عليه السلام

لا ريب أن دلالة الآية في قوله تعالى: {لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} على نزول عيسى عليه السلام مبنية على أمرين:

الأول: أن الضمير في قوله تعالى: {لِيُظۡهِرَهُۥ} عائد إلى قوله سبحانه: {وَدِينِ ٱلۡحَقِّ} أو قوله: {بِٱلۡهُدَىٰ} أو إليهما معاً.

الثاني: أن المراد بإظهار الدين هو ألا يبقى مع الإسلام دين آخر، وذلك حاصلٌ عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان.

فأما الأول فقد ورد مسنداً عن عدد من السلف، منهم:

١- **عبدالله بن عباس رضي الله عنهما** فقد أخرج ابن أبي حاتم بسنده من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: {لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «بعث الله محمداً ليظهره على الدين كله، فديننا فوق

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١٢/٤٧).

(٢) انظر: بحر العلوم (٥٤/٢) للسمرقندي.

(٣) انظر: الكشف والبيان (٣٥/٥) للثعلبي، والتفسير البسيط (٣٩١/١٠) للواحدي، ومعالم التنزيل (٤٠/٤) للبغوي، وزاد المسير (٤٢٨/٣) لابن الجوزي، والجامع لأحكام القرآن (١٢١/٨) للقرطبي.

(٤) انظر على التوالي: جامع البيان (٣٢٠/٢١) (٦١٥/٢٢) للطبري، والهداية الى بلوغ النهاية (٦٩٧٤/١١) لمكي بن أبي طالب، والتفسير الوسيط (٤٩١/٢) للواحدي، وتفسير القرآن (٤٢٧/٥) للسمعاني، والمحرر الوجيز (٣٠٤/٥) لابن عطية، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٣٥٤/٢) للخازن، وروح المعاني (٢٧٨/٥) للألوسي.

الملل، ورجالنا فوق نسائهم، ولا يكون رجالهم فوق نسائنا»[1].

٢-**والحسن البصري** فقد أخرج الطبري بسنده عن الحسن في قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا} [سورة الفتح:٢٨] قال: «أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الدين كله»[2].

ونقله السيوطي **عن قتادة بن دعامة السدوسي**، فذكر أن عبد بن حميد وابن المنذر أخرجا عن قتادة في قوله تعالى: {لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «الأديان ستة، الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا، فالأديان كلها تدخل في دين الإسلام، والإسلام لا يدخل في شيء منها، فإن الله قضى فيما حكم وأنزل أن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون»[3].

وهو قول جمهور العلماء، وهؤلاء يجعلون إظهار دين الإسلام على سائر الأديان إظهاراً عاماً ولا يربطونه بنزول عيسى عليه السلام، كإظهاره بالحجة والبرهان أو انتشار ذكره في العالمين أو إظهاره على سائر أديان جزيرة العرب، ولا يلزم على هذا الإظهار محو غيره به فيكون معه غيره لكنه دونه، وقد اختاره -بالإضافة إلى من ربط الآيةَ من السلف بنزول عيسى بن مريم عليه السلام- مقاتل، والإمام الشافعي، والفراء، والزجاج، والجصاص، والملطي، والماوردي، والبغوي، والقاضي عياض، والعمراني، والرازي، وأبو العباس القرطبي، والبيضاوي، والطوفي، وابن تيمية، وابن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٦/٦).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٠/٢١).
(٣) الدر المنثور (٣٢٧/٧-٣٢٨).

كثير، والسعدي، وابن عاشور، والشنقيطي، وغيرهم[١].

وقيل إن الضمير في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ} عائد على قوله سبحانه: {رَسُولَهُۥ} فيكون المعنى أن يظهر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على أمر الدين كله، فيعطيه إياه كله، ولا يخفي عليه منه شيء، وقد ورد هذا مسنداً عن **عبدالله بن عباس رضي الله عنهما** فقد أخرج الطبري بسنده من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله، فيعطيه إياه كله، ولا يخفى عليه منه شيء، وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك»[٢]، ورجحه أبو حيان الأندلسي[٣].

والصحيح –والله أعلم– أن الضمير في قوله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ} عائد على دين الإسلام لا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه أقرب مذكور، ولهذا اختاره أكثر العلماء.

وأما الثاني فاختاره من سبق ذكرهم ممن ربط الآية بنزول عيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) انظر على التوالي: تفسير مقاتل (١٦٨/٢) لمقاتل البلخي، والأم (١٨٠/٤) للشافعي، ومعاني القرآن (٦٨/٣) للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه (٢١٥/١) للزجاج، وأحكام القرآن (٣٠٠/٤) للجصاص، والتنبيه والرد (٣٠) للملطي، والحاوي الكبير (٢٧٦/١٤) للماوردي، ومعالم التنزيل (٤٠/٤) للبغوي، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٢١/٧) للقاضي عياض، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١٥٩/١) للعمراني، ومفاتيح الغيب (٢٨٧/١١) للرازي، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٥٠/٧) لأبي العباس القرطبي، وأنوار التنزيل (٢٠٩/٥) للبيضاوي، والإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٢٧٥/٢) للطوفي، والجواب الصحيح (٢٣٩/١) لابن تيمية، وتفسير القرآن العظيم (١٣٦/٤) لابن كثير، وتيسر الكريم الرحمن (٣٣٥) للسعدي، والتحرير والتنوير (١٩٢/٢٨) لابن عاشور، والعذب النمير من مجالس التفسير (٤٥١/٥) للشنقيطي.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢٣/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٦/٦).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣٤/٥).

ومن العلماء من ربط ظهور دين الإسلام على سائر الأديان بظهور المهدي في آخر الزمان، وقد نُقل هذا عن السدي[١].

ولعل ربط تحقق الآية بنزول عيسى عليه السلام يترجح بعدد من الأدلة:

١-منها ما ورد في صحيح الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى)) فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ} أن ذلك تامٌ قال: ((إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فَتَوَفَّى كُلَّ من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم))[٢]، وقد استدل بهذا الحديث الإمام الطبري ورجح هذا القول لأجله[٣]، ومعلوم أن الله تعالى يبعث الريح الطيبة قبيل قيام الساعة وبعد نزول عيسى عليه السلام وظهور يأجوج ومأجوج وبعد الريح لا يبقى إلا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة كما دلّ عليه حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عند الإمام مسلم[٤].

٢-ومما يشهد لهذا القول ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد))[٥].

---

(١) انظر: زاد المسير (٤٢٨/٣)، ومفاتيح الغيب (٣٣/١٦) للرازي.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، ح(٢٩٠٧).

(٣) انظر: جامع البيان (٦١٦/٢٢) للطبري، وانظر: معالم التنزيل (٤٠/٤) للبغوي.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٥) سبق تخريجه في التمهيد.

فكسرُ عيسى عليه السلام للصليب فيه دلالةٌ على ظهور دين الإسلام على سائر الأديان في ذلك الوقت وهو نزول عيسى عليه السلام، والاستدلال بهذا الحديث ظاهر صنيع ابن أبي حاتم في تفسيره[١]، قال أبو المظفر السمعاني: «ومن المشهور أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يبقى يهودي ولا نصراني إلا أسلم، وحينئذ تضع الحرب أوزارها، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[٢].

٣-ومما يشهد له أيضاً ما رواه أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس بيني وبينه نبي -يعني عيسى بن مريم- وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأنَّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون))[٣]، فقوله صلى الله عليه وسلم: ((ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام)) يشهد بأن ظهور الإسلام على سائر الأديان يكون بعد نزول عيسى عليه السلام، وقد استدل البغوي لهذا القول بهذا الدليل[٤].

٤-ومما يشهد له أيضاً حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل أما يعزهم الله عز

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٦/٦).

(٢) تفسير القرآن (٢٠٨/٥) للسمعاني.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح(٤٣٢٤)، والإمام أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ح(٩٢٥٩) (٩٦٣٠)، قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٢٤/١٩): «وهذا إسناد جيد قوي»، وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (٤٩٣/٦)، والألباني في السلسلة الصحيحة ح(٢١٨٢).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٤٠/٤) للبغوي.

وجل فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها))[1]، وقد أورده في تفسير هذه الآية ابن أبي زمنين والبغوي وغيرهما[2].

وبهذا يظهر -والله أعلم- رجحان ربطُ تحقق هذه الآية بنزول عيسى عليه السلام بناء على هذه الأدلة، ولكون السياق في سورتي التوبة والصف جاء في ذكر عيسى بن مريم عليه السلام.

ولا شك أن القول بربط تحقق إظهار دين الإسلام بنزول عيسى عليه السلام هو من لوازم قول الجمهور بأن إظهار دين الإسلام هو إظهار عام غير مرتبط بنزول عيسى عليه السلام.

ويلزم على إظهار دين الإسلام على الدين كله بنزول عيسى عليه السلام أمران:

الأول: أن يكون الدين كله لله تعالى، كما قال تعالى: {وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} [سورة البقرة:١٩٣]، ولهذا ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن تحقق كون الدين كله لله وحصوله لا يكون إلا بنزول عيسى عليه السلام، قال ابن العربي: «غايته نزول عيسى بن مريم عليه السلام قال صلى الله عليه وسلم: ((ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية))[3]، وذلك موافق للحديث قبله[4]؛ لأن نزول عيسى عليه السلام من

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه، ح(٢٣٨٦٥)، وابن حبان في صحيحه ح(٦٧٠١)، والحاكم في المستدرك ح(٨٣٢٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط البخاري ومسلم»، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ح(٦٦٦٤).

(٢)انظر: تفسير القرآن العزيز (٣٨٥/٤) لابن أبي زمنين، ومعالم التنزيل (٤٠/٤) للبغوي.

(٣) سبق تخريجه في التمهيد.

(٤) يعني حديث عروة البارقي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم)) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، ح(٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ح(١٨٧٣).

أشراط الساعة، وسيقاتل الدجال، ويأجوج ومأجوج، وهو آخر الأمر»[١]، وقال أيضاً: «يحتمل أن يريد به، وقاتلوهم حتى لا يكون كفر ويحتمل أن يكون: وقاتلوهم حتى لا يفتن أحد عن دينه، وكلاهما يجوز أن يكون مراداً، وهذه الغاية لا تتحقق إلا بنزول عيسى»[٢].

الثاني: أن يكف الله تعالى بنزوله عليه السلام بأس الذين كفروا، قال تعالى: {فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا} [سورة النساء:٨٤]، ولهذا ذهب بعض المفسرين إلى أن كفّ بأس الذين كفروا لا يتحقق إلا بنزول عيسى عليه السلام، قال أبو حيان الأندلسي: «وقيل: كف البأس يكون عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام»[٣].

المبحث الثاني: قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا}.

يُعدُّ قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ} [سورة محمد:٤] من الآيات التي نصّ بعض السلف على أن غايتها هو نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، لأنه بنزوله عليه السلام يدخل الناس في الإسلام ولا يبقى على ظهر الأرض كافر، فلا يكون هناك حاجة للحرب، وبهذا تضع الحرب أوزارها.

(١) أحكام القرآن (١٤٥/١)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٥٠/٢) للقرطبي.
(٢) المصدر السابق (٤٠٠/٢).
(٣) البحر المحيط في التفسير (٧٣١/٣).

ويمكن الكلام على ما يتعلق بالآية ودلالتها من خلال ما يلي:

أولاً: المرويات الواردة عن السلف في وضع الحرب أوزارها بنزوله عليه السلام

ورد ربط وضع الحرب أوزارها -الوارد في هذه الآية- بنزول عيسى بن مريم عليه السلام عن عدد من السلف، منهم:

١-**سعيد بن جبير**، فقد أخرج ابن الجعد بسنده عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} قال: «خروج عيسى عليه السلام»[1].

٢-**وأبو صالح مولى أم هانئ**، فقد أخرج عبد الملك بن حبيب بسنده من طريق الكلبي عن أبي صالح في قول الله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} وفي قول الله تعالى: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} قال: «ذلك حين ينزل عيسى عليه السلام، مصدقاً بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيقتل الدجال، ويسلم عند نزوله كل يهودي ونصراني وصاحب ملة، فيكون الدين واحد ويقع الأمان في الأرض، ويكون السلام، وتأنس الوحوش بالناس، ويأمن الناس السباع والهوام حتى إن الصبي يلقى الأسد فيعرك أذنيه ولا يهيجه عليه، ويُلقي الرجل الحية في كفه ولا تضره، وتلقى الشاة الذئب فلا يضرها، فذلك حين {تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} ويظهر الإسلام على الدين كله ولو كره المشركون، [وتعود الأرض كهيئتها][2] على عهد آدم، فيكون الناس معه على خير حال وخير زمان أربعين سنة، ثم يقبض الله روح عيسى بن مريم عليه السلام»[3].

٣-**ومجاهد بن جبر المكي**، فقد أخرج الطبري بسنده من طريق ابن أبي

(١) أخرجه ابن الجعد في مسنده (٣١٩).

(٢) في المطبوع: [وثبت كتباتها] وصوّب محقق الكتاب في الحاشية ما أثبته، ولا شك أن السياق لا يستقيم بهذا اللفظ.

(٣)سبق تخريجه في المبحث السابق.

نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} قال: «حتى يخرج عيسى بن مريم، فيسلم كل يهودي ونصراني وصاحب ملة، وتأمن الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جراباً، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دماً إذا وضعها»[١]، وورد مسنداً عن مجاهد من طريق سالم الأفطس عن مجاهد: في قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} قال: «نزول عيسى بن مريم عليه السلام»[٢].

واختار هذا القول الثعلبي، والبيهقي، والسمعاني، والبغوي، وهو ظاهر اختيار ابن كثير، وابن رجب، والبقاعي[٣].

ثانياً: معنى الآية ودلالتها على نزوله عليه السلام

تنوعت عبارات العلماء في بيان معنى قوله سبحانه: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}، فقال الإمام البخاري: «{أَوْزَارَهَا}: آثامها حتى لا يبقى إلا مسلم»[٤]، وذكر الإمام الطبري: في معنى الآية قولين، **القول الأول:** حتى تُلقي الحرب آثامها وأوزار أهلها وقبائح أعمالهم، بتوبة المشركين من شركهم، وإيمانهم وطاعتهم لله ورسوله[٥].

وقد ورد هذا مسنداً عن **قتادة بن دعامة** فقد أخرج الطبري بسنده من طريقين عن قتادة في قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} قال: «حتى

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٨/٢١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٣/٩).

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس في تفسيره (مطبوع باسم تفسير مجاهد) (٥٩٧/٢).

(٣) انظر على التوالي: الكشف والبيان (٣٠/٩) للثعلبي، والسنن الصغرى (٣٨١/٣) للبيهقي، وتفسير القرآن (٢٠٨/٥) للسمعاني، ومعالم التنزيل (٢٨٠/٧) للبغوي، وتفسير القرآن العظيم (٣٠٨/٧) لابن كثير، وجامع العلوم والحكم (١٥٢/١) لابن رجب، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩٤/١٨) للبقاعي.

(٤) صحيح البخاري (١٨٢٧/٤).

(٥) انظر: جامع البيان (١٨٧/٢١-١٨٨) للطبري.

لا يكون شرك»[١]، وممن نص عليه من المفسرين مقاتل، والفراء، والطبري، والزجاج، ومكي بن أبي طالب، وغيرهم[٢].

القول الثاني: حتى يضع المحارب أوزاره[٣]، وقد ورد هذا مسنداً عن **قتادة بن دعامة** فقد أخرج الطبري بسنده عن قتادة في قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا} قال: «الحربُ من كان يُقاتلهم، سماهم حرباً»[٤].

وكل هذه المعاني لا تعارض بينها، قال الواحدي: «وهذه الأقوال معناها واحد»[٥]، والذي يتعلق بموضوعنا هو تحديد وقت وضع الحرب لأوزارها، ولم أجد من حدده بوقت معين إلا من سبق ذكرهم من السلف ممن حدده بنزول عيسى عليه السلام.

وبقية أقوال السلف في الآية علّقَتْهُ بإيمان أهل الأرض، وترك أهل الشرك لشركهم دون تحديد وقت معين.

والعجيب أن ابن عطية نسب إلى حذاق أهل النظر أنهم قالوا في تفسير الآية: «حتى تغلبوهم وتقتلوهم»[٦]، ولم أجد من ذكر هذا القول قبله، ثم ذهب إلى أن الآية ليس لها وقت ولا غاية، وأنها «استعارة يراد لها التزام الأمر أبداً، وذلك أن الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها، فجاء هذا كما تقول: أنا أفعل كذا إلى يوم القيامة، فإنما تريد: إنك تفعله دائماً»[٧]، وهو قول غريب لم أقف عليه عند من سبقه.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٨/٢١).

(٢) انظر على التوالي: تفسير مقاتل (٤٤/٤)، ومعاني القرآن (٥٧/٣) للفراء، وجامع البيان (١٨٧/٢١) للطبري، ومعاني القرآن وإعرابه (٦/٥) للزجاج، والهداية إلى بلوغ النهاية (٦٨٨٥/١١) لمكي بن أبي طالب.

(٣) انظر: جامع البيان (١٨٧/٢١-١٨٨) للطبري.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٨/٢١).

(٥) التفسير البسيط (٢١٩/٢٠).

(٦) المحرر الوجيز (١١١/٥).

(٧) المحرر الوجيز (١١١/٥).

وقد جاءت السنة النبوية الصحيحة دالةً على أن وضع الحرب لأوزارها يكون بنزول عيسى عليه السلام، ولهذا قال به جمعٌ من السلف، ومن تلك الأدلة ما يلي:

١-حديث أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عله وسلم قال: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم بن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها))[(١)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ويضع الحرب)) لفظة وردت في رواية الحموي والمستملي، وأما رواية الكشميهني فهي بلفظ: ((ويضع الجزية))[(٢)].

ويشهد لهذه اللفظة حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى بن مريم إماماً مهدياً وحكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها))[(٣)].

٢-حديثُ عروة بن الجعد البارقي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم))[(٤)]، مما يدل على أن الحرب تستمر إلى يوم القيامة أو قُبَيْلَهُ بنزول عيسى عليه السلام.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، ح(٣٢٦٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/٤٩١) لابن حجر، وإرشاد الساري (٥/٤١٩) للقسطلاني، وهذه الرواية هي التي ذكرها الخطابي في أعلام الحديث (٣/١٥٦٢)، وأبو العباس القرطبي في اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه (٣/١٣٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ح(٩٣١٢)، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/٥٦٩)، قال الألباني: في قصة المسيح الدجال (٩٩): «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وصححه الشيخ حمود التويجري في إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/٩٧).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، ح(٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ح(١٨٧٣).

٣-حديثُ عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال))[١]، وذكر ابن كثير[٢] أن قول مجاهد بتعليق رفع الحرب لأوزارها بنزول عيسى عليه السلام مأخوذ من هذا الحديث، وذكر ابن كثير أدلة أخرى تشير إلى هذا القول منها الحديث التالي[٣].

٤-حديثُ سلمة بن نفيل رضي الله عنه، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني سيبت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، وقلت: لا قتال، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم: ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة))[٤]، وفي رواية أخرى: ((ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج))[٥].

٥-وحديثُ النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: لما فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فقالوا: يا رسول الله، سيبت الخيل، ووضعت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قالوا: لا قتال، قال: ((كذبوا، الآن

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في دوام الجهاد، ح(٢٤٨٤)، والإمام أحمد في المسند، مسند عمران بن حصين رضي الله عنه ح(١٩٩٣٤)، والحاكم في المستدرك (٨١/٢) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١٩٥٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٠٨/٧) لابن كثير.

(٣) وممن ذكر هذا الدليل الألوسي في روح المعاني (١٩٩/١٣).

(٤) أخرجه النسائي في سننه (المجتبى)، كتاب الخيل، باب الخيل، ح(٣٥٦١)، والإمام أحمد في المسند، مسند سلمة بن نفيل رضي الله تعالى عنه ح(١٧٠٠٦)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١٩٣٥) (١٩٦١).

(٥) أخرجها النسائي في السنن الكبرى (٦٨/٨)، والطبراني في الكبير (٥٣/٧) ح(٦٣٦٠)، وصحح الألباني أصل الحديث في الصحيحة ح(١٩٣٥) (١٩٦١).

جاء القتال، لا يزال الله يرفع قلوب قوم يقاتلونهم، فيرزقهم منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وعقر دار المسلمين بالشام))[(١)].

وهناك من ذكر أدلة أخرى لكنها لا تخلو من مقال.

وبناء على هذه النصوص الصحيحة يترجح -والله أعلم- القول بأن الحرب لن تضع أوزارها إلا بنزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، وتكون هذه الآية من الآيات التي علّق السلف وقوعها بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ح(٧٣٠٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٦/١)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ح(٧٢٦٣).

المبحث الثالث: قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا}

يُعدُّ قوله تعالى: {وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا} [سورة الإسراء:١٠٤] من الآيات التي جعل بعض السلف تحققها وحصولها يكون بنزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، حيث قالوا: إنَّ تحقق وعد الآخرة ومجيئه يكون بنزول عيسى بن مريم عليه السلام، ولم أقف على أقوال مسندة عن السلف في هذا التفسير، لكنها أقوال نقلها المفسرون عن السلف بلا أسانيد.

وممن نُقل عنه هذا التفسير **ابن عباس رضي الله عنه،** أخرج الطبري بسنده عن ابن جريج في قوله: {وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ} [سورة الأعراف:١٥٩] قال: «بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا، وكانوا اثني عشر سبطاً، تبرأ سبط منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمون، يستقبلون قبلتنا، قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: {وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا} ووعد الآخرة عيسى بن مريم يخرجون معه، قال ابن جريج: قال ابن عباس: ساروا في السرب سنة ونصفاً»[(١)].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/٥٠١-٥٠٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٥٨٥) إلى ابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ، وهذا الخبر وصفه ابن كثير في تفسيره (٣/٤٩٢) بأنه خبر عجيب وكأنه يشير إلى ضعفه، قال الشوكاني في فتح القدير (٢/٢٥٨): «ومثل هذا الخبر العجيب والنبأ الغريب محتاج إلى تصحيح النقل»، وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (١٣/١٧٤): «هذا الخبر، لم يروه أبو جعفر في تفسير آية سورة الإسراء، وهذا ضرب من اختصاره لتفسيره، وربما دلَّ ذلك على ضعف الخبر عنده، لأنه لو صح عنه لذكره في تفسير قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ} أنه عيسى بن مريم عليه السلام»، وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/٢٩٤): «هكذا يقولون، وتكثر هذه القصة -يكثر ذكرها- في كلام المفسرين عند هذه الآية الكريمة، وقد ألممنا بالآية ولم نذكرها؛ لأنها لم يثبت عندنا فيها شيء»، وممن نسب هذا القول لابن عباس: الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٧/١٢٣)، والسيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/٥٨٥).

كما نُقل عن **محمد بن السائب الكلبي**، قال الثعلبي: «وقال الكلبي {فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ} يعني مجيء عيسى بن مريم من السماء»(١).

وجمهور المفسرين على القول بأن المراد بقوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ} يوم القيامة(٢).

واختار هذا القول يحيى بن سلام، والطبري، والثعلبي، ومكي بن أبي طالب، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والشوكاني، وابن عاشور، وغيرهم(٣).

وبهذا يترجح في معنى الآية قول الجمهور، وأن الآية لا دلالة فيها على نزول عيسى عليه السلام، وما ورد عن ابن جريج فهو غريب جداً ولا يثبت.

ويمكن أن يقال إنه لا تعارض بين قول الجمهور وقول من فسر الآية بنزول عيسى عليه السلام؛ لكون نزوله عليه السلام من العلامات الكبرى لقيام الساعة، ونزوله سيكون قرب قيامها، وعليه يمكن فهم الآية على هذا القول بمعرفة سياقها، حيث إن الخطاب فيها لبني إسرائيل، والمراد بالأرض في قوله تعالى: {ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ} الشام في قول المفسرين، وقد جاءت السنة

---

(١) الكشف والبيان (١٤٠/٦) للثعلبي، وانظر: معالم التنزيل (١٣٥/٥) للبغوي، والجامع لأحكام القرآن (٣٣٨/١٠) للقرطبي.

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة (١٢٣/٧) للماتريدي.

(٣) انظر على التوالي: تفسير يحيى بن سلام (١٦٦/١)، وجامع البيان (١١١/١٥) للطبري، والكشف والبيان (١٤٠/٦) للثعلبي، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٣٠٥/٦) لمكي بن أبي طالب، والوسيط (١٣١/٣) للواحدي، ومعالم التنزيل (١٣٥/٥) للبغوي، والمحرر الوجيز (٤٩٠/٣) لابن عطية، وزاد المسير (٩٥/٥) لابن الجوزي، ومفاتيح الغيب (٤١٦/٢١) للرازي، والجامع لأحكام القرآن (٣٣٨/١٠) للقرطبي، وأنوار التنزيل (٢٦٩/٣) للبيضاوي، وفتح القدير (٢٦٣/٣) للشوكاني، والتحرير والتنوير (٢٢٩/١٥) لابن عاشور.

بأن الدجال يتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة[1]، وأن الدجال يجتمع مع هؤلاء اليهود في فلسطين تحديداً عند نزول عيسى عليه السلام، وأن عيسى عليه السلام يقتل الدجال عند باب لُدّ بفلسطين[2]، فيكون معنى قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا} أي إذا جاءت الكَرّةُ الآخرة جمعَ الله بني إسرائيل جميعاً في الأرض المقدسة تحت إمرة الدجال.

---

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٤).

(٢) أخرجه من حديث النواس بن سمعان مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

الخاتمة

بعد جمع إشارات القرآن الكريم إلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام ودراستها يمكن استخلاص النتائج التالية:

١- إشارات القرآن الكريم إلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام كانت أقلَّ وضوحاً وتفصيلاً من أدلة السنة النبوية على نزوله عليه السلام، ولهذا خفيت على البعض.

٢- إشارات القرآن الكريم إلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام على نوعين:

أ- أدلةٍ صريحةٍ فسرها السلف بنزول عيسى عليه السلام، وقد بلغت ثلاثةَ أدلةٍ، ترجّح لي دلالتها كلها على نزوله عليه السلام.

ب-أدلةٍ جعلَ السلفُ أمد وقوعها وتحققها نزولَ عيسى عليه السلام، وقد بلغت ثلاثةَ أدلةٍ، ترجّح لي أن اثنين منها يتحققان بنزوله عليه السلام، وأما الثالث فلا دليلَ ظاهرٌ يدل على ربطه بنزوله عليه السلام.

٣- على الرغم من مكانة نزول عيسى بن مريم في عقيدة المسلمين ووضوحه وتواتر أدلته إلا إن هناك من أنكره وشكك به وقدح في دلالات أدلته.

٤- كان عودُ الضمائر ومحلُ العطف من أبرز أسباب الخلاف في دلالة بعض الآيات على نزول عيسى عليه السلام.

٥-كان لسياق الآيات وأدلة السنة النبوية وأساليب العربية أثرٌ كبيرٌ في ترجيح القول بدلالة بعض الآيات على نزول عيسى عليه السلام.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، ط٢، ١٤١٤هـ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، لشمس محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق: د.محمد إبراهيم، ط١، ١٤١٨هـ، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، لأبي عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي الشهير بابن العربي، تحقيق: محمد عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد قمحاوي، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه، لأبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي، تحقيق: رفعت عبدالمطلب، ط١، ١٤٣٥هـ، دار النوادر، دمشق.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني، ط٧، ١٣٢٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة.

الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، لسليمان بن عبدالقوي الطوفي، تحقيق: حسن قطب، ط١، ١٤٢٣هـ، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.

أصول السنة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المعروف بابن أبي زمنين المالكي، تحقيق: عبد الله البخاري، ط١، ١٤١٥هـ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.

أصول السنة، لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط١، ١٤١١هـ، دار المنار، الخرج.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د.زهير زاهد، ط٣، ١٤٠٩هـ، عالم الكتب، بيروت.

أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: د. محمد آل سعود، ط١، ١٤٠٩هـ، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.

إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، ١٤٠٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

الإقناع في مسائل الإجماع، لعلي بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي الشهير بأبي الحسن ابن القطان، تحقيق: حسن الصعيدي، ط١، ١٤٢٤هـ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة.

إكفار الملحدين في ضروريات الدين، لمحمد أنور شاه الكشميري الهندي، ط٣، ١٤٢٤هـ، المجلس العلمي، باكستان.

إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوفاء للطباعة، المنصورة.

ألفية ابن مالك، لجمال الدين أبي عبدالله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، دار التعاون.
الأم، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي،١٤١٠ه، دار المعرفة، بيروت.
الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: د.سعود الخلف، ط١، ١٩٩٩م، أضواء السلف، الرياض.
أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، ط١، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
إيضاح الوقف والابتداء، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محيي الدين رمضان، ١٣٩٠هـ، مجمع اللغة العربية، دمشق.
البحور الزاخرة في علوم الآخرة، لمحمد بن أحمد السفاريني، تحقيق: عبدالعزيز المشيقح، ط١، ١٤٣٠هـ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.
البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د.عبدالله التركي، ط١، ١٤١٨هـ، دار هجر، القاهرة.
التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، محقق في عدد من رسائل الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
البعث والنشور، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، ط١، ١٤٣٦هـ، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض.

البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: د.محمد حجي وآخرون، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

تاريخ ابن الوردي، لزين الدين أبي حفص عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

تاريخ بغداد، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي الشهير بابن عساكر، تحقيق: د.عمر العمري، ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت.

التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس.

تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: طارق السيد، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الغرناطي الكلبي، ط٤، ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، لمحمد ناصر الدين الألباني، بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ط١، ١٤٢٤هـ، دار باوزير، جدة.

تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط٣، ١٤٢٢هـ، دار الحديث، القاهرة.

تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لنصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المعروف بابن أبي زمنين المالكي، تحقيق: حسين عكاشة، ومحمد الكنز، ط١، ١٤٢٣هـ، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

تفسير القرآن، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: د.عبد الله الوهبي، ط١، ١٤١٦هـ، دار ابن حزم، بيروت.

تفسير القرآن، لعبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د.مصطفى مسلم، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

تفسير القرآن، لمنصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، ط١، ١٤١٨هـ، دار الوطن، الرياض.

تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د.مجدي باسلوم، ط١، ١٤٢٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، ط١، ١٣٦٥هـ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، ط٢، ١٣٦٧هـ، مطبعة المنار، القاهرة.

تفسير سفيان الثوري، لسفيان بن سعيد الثوري، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، ١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير آدم بن أبي إياس (مطبوع باسم تفسير مجاهد)، لآدم بن أبي إياس، تحقيق: عبدالرحمن السورتي، المنشورات العلمية، بيروت.

تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: عبدالله شحاته، ط١، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث، بيروت.

تفسير يحيى بن سلام، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي البصري القيرواني، تحقيق: د.هند شلبي، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

التقرير في أسانيد التفسير، لعبدالعزيز الطريفي، ط١، ١٤٢٣هـ، دار المنهاج، الرياض.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ليوسف بن عبدالله النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبدالكبير البكري، ١٣٨٧هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لمحمد بن أحمد الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، ١٤١٨هـ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي المزي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، ط١، ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

تهذيب اللغة ،لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبدالله التركي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار هجر، القاهرة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة.

الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، بيروت.

الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، ط١، ١٣٧٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر الشافعي الترمذي الرملي، تحقيق: د.حكمت ياسين، ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة الدار، المدينة المنورة.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د.عبدالعزيز العسكر وآخران، ط٢، ١٤١٩هـ، دار العاصمة، الرياض.

الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، لعلي بن محمد الماوردي، تحقيق: علي معوض، وعادل عبدالموجود، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤٢٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

خريدة العجائب وفريدة الغرائب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن المظفر بن الوردي، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط١، ١٤٢٨هـ، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة.

الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د.عبدالله التركي، ط١، ١٤٢٤هـ، دار هجر، القاهرة.

دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.

دلالة القرآن على عودة عيسى عليه السلام، د.مساعد الطيار، مقال منشور في موقع الإسلام اليوم على الرابط: https://www.islamtoday.net/fatawa/quesshow-60-22991.htm

الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: دغش العجمي، ط١، ١٤٢١هـ، دار الإمام أحمد، الكويت.

رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: عبدالله شاكر الجنيدي، ١٤١٣هـ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي المعالي شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، ط٣، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت.

السنن الصغرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، ١٤١٠هـ، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي.

السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني، تحقيق: د.رضاء الله المباركفوري، ط١، ١٤١٦هـ، دار العاصمة، الرياض.

سنن سعيد بن منصور، لسعيد بن منصور الخراساني، تحقيق: د.سعد الحميد، ط١، ١٤١٤هـ، دار الصميعي، الرياض.

سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد العرقسوسي، ط٩، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبدالرءوف سعد، ط١، ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت.

شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح العثيمين، تحقيق: سعد الصميل، ط٦، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، الرياض.

شرح سنن أبي داود، لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، ط١، ١٤٣٧هـ، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم.

الشريعة، لمحمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د.عبدالله الدميجي، ط٢، ١٤٢٠هـ، دار الوطن، الرياض.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د.حسين العمري وآخرون، ط١، ١٤٢٠هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت.

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الصحيح المسند من أسباب النزول، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ١٣٧٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد البصري الزهري، دار صادر، بيروت.

العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، تحقيق: د.خالد السبت، ط٢، ١٤٢٦هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

العلل ومعرفة الرجال، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط١، ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، ١٣٨٨هـ، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، و د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

غريب القرآن، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد جمران، ط١، ١٤١٦هـ، دار قتيبة، سوريا.

الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، ١٤١٩هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

فتاوى الرملي، لشهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي، مطبعة عبدالحميد حنفي، القاهرة.

فتاوى اللجنة الدائمة، جمع: أحمد الدويش، ط١، ١٤٢٤هـ، دار المؤيد، الرياض.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

الفتن، لأبي عبد الله نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، تحقيق: سمير الزهيري، ط١، ١٤١٢هـ، مكتبة التوحيد، القاهرة.

الفقه الأكبر، المنسوب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت، ط١، ١٤١٩هـ، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية المتحدة [مطبوع مع الشرح الميسر للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة].

فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٢هـ، إحياء التراث العربي، بيروت.
الفقيه والمتفقه، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط١، ١٤١٧هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ط١، ١٣٥٦، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤٢١هـ، المكتبة الإسلامية، عمان.
الكامل في التاريخ، لأبي الحسن عزالدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري الشهير بابن الأثير، تحقيق: عمر تدمري، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ط٣، ١٤٠٩هـ، دار الفكر، بيروت.
كتاب تفسير القرآن، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: د.سعد السعد، ط١، ١٤٢٣هـ، دار المآثر، المدينة النبوية.
الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الشهير بسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، ١٤٠٨هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، لأحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: نظير الساعدي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل اللواتي الأجدابي الطرابلسي، تحقيق: السائح علي حسين، دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة، طرابلس.

الكنى والأسماء، لمحمد بن أحمد الدولابي، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، ط١، ١٤٢١هـ، دار ابن حزم، بيروت.
لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت.
لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لمحمد بن أحمد السفاريني، ط٢، ١٤٠٢هـ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.
المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري، ط١، ١٤٢٣هـ، دار ابن حزم، بيروت.
المجتبى من السنن، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ١٤٠٦هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
مجلة الرسالة، مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون أنشأها: أحمد حسن الزيات، تصدر من القاهرة.
مجلة المنار، أنشأها: محمد رشيد رضا، ط٢، ١٣٢٧هـ، مطبعة المنار، القاهرة.
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ١٤٠٧هـ، دار الريان للتراث، القاهرة.
مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، بعناية: د.محمد بن سعد الشويعر، ط١، ١٤٢٠هـ، دار القاسم، الرياض.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالحق بن غالب الأندلسي الشهير بابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
المحكم والمحيط الأعظم، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: د.عبدالحميد هنداوي، ط١، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

المحيط في اللغة، لإسماعيل ابن عباد الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، ١٤١٤هـ، عالم الكتب، بيروت.
المخصص، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لشمس الدين أبي المظفر سبط أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد بركات وآخرون، ط١، ١٤٣٤هـ، دار الرسالة العالمية، دمشق.
مسائل الإمام أحمد بن حنبل برواية ابنه عبدالله، تحقيق: زهير الشاويش، ١٤٠١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، ١٤١٦هـ، دار الحديث، القاهرة.
مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
المسند، لعلي بن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط١، ١٤١٠هـ، مؤسسة نادر، بيروت.
المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخران، ط٤، ١٤١٧هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، ١٤٠٩هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: د.عبدالجليل شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ، دار عالم الكتب، بيروت.

معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تحقيق: د.هدى قراعة، ط١، ١٤١١هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.

معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء، تحقيق: أحمد نجاتي، ومحمد النجار، ط٣، ١٤٠٣هـ، دار عالم الكتب، بيروت.

المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط٢، ١٤٠٤هـ، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

معرفة السنن والآثار، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، ١٤١٢هـ، دار قتيبة، دمشق.

معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.

المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد أبي المكارم الخوارزمي المطرزي، تحقيق:محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، ط١، ١٩٧٩م، مكتبة أسامة بن زيد، حلب.

مفاتيح الغيب المسمى بـ(التفسير الكبير)، لمحمد بن عمر التميمي الرازي، ط٣، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، تحقيق: محيي الدين ميستو وآخرون، ط١، ١٤١٧هـ، دار ابن كثير، دمشق.

مناقب الإمام الشافعي، لأبي الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم، الآبري السجستاني، تحقيق: د.جمال عزون، ط١، ١٤٣٠هـ، الدار الأثرية، عمان.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عطا ومصطفى عطا، ط١، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، ١٣٨٢هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني، ط٢، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، القاهرة.

النكت والعيون، لعلي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيرواني الأندلسي، تحقيق: مجموعة من الباحثين بجامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الشارقة، الشارقة.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

وكيع بن الجراح أقواله ومروياته في التفسير من أول الفاتحة إلى نهاية سورة الكهف، د.محمد القرشي، رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ.